جامعــة الأزهــــر
كليــة الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق
المجلة العلميــة

فلسفة التدافع ودوره في التعايش السلمي

" دراسة فكرية عقدية"

إعداد

د/ محمد علي منصور مزروعه

أستاذ العقيدة والفلسفة المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة،
بكلية الشريعة، جامعة القصيم، والمدرس بقسم أصول الدين،
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بالقاهرة، جامعة الأزهر

(العدد الرابع عشر)

(الإصدار الثاني - ديسمبر)

(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية- محكمة- نصف سنوية

فلسفة التدافع ودوره في التعايش السلمي
" دراسة فكرية عقدية"

محمد علي منصور مزروعه

قسم العقيدة والفلسفة،بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: Dr_mazroua. 124@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف البحث إلى بيان خصائص التدافع ووضعه في إطاره الصحيح، وتصويرًا لطبيعة العلاقة في ظل التعددية الدينية والفكرية، تتجلى هدايات الدين الإسلامي لتكشف ضمانات التعايش السلمي، والبحث يكشف عن الثوابت المنهجية التي يقوم عليها التدافع في مواجهة ما يسمى بصراع الحضارات،وهذا التدافع أمر طبعي في كل اجتماع بشري؛ نظرًا لاختلاف الأهداف والغايات، وتعارض المقاصد ، وحيث كان الاجتماع فمن ثم الاختلاف فالتدافع، فلا بد من نظام يربط، وشرع يحكم، والإسلام دين شامل متكامل يلبي كل أغراض الحياة العامة وليس–كما يعتقد–البعض محصورًا في بعض العقائد والشعائر والطقوس كالعقائد الأخرى، فالإسلام يغطي كل مجالات الحياة الإنسانية، لا سيما أن شريعته متكاملة تشمل كافة القيم الحضارية، ولدراسة هذا الموضوع، ومعالجة قضاياه كان هذا البحث المعنون له بـ(مفهوم التدافع ودوره في التعايش السلمي دراسة تحليلية)، كما يُبرز هذا البحث دور الهدايات القرآنية في معالجة الشبهات الفكرية المنتشرة حول مفهوم التدافع، ويحدد بدقة المفهوم الصحيح للتدافع بحيث يسهم في توجيه الحضارات وعلاج مشكلاتها، وقد تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي المقارن، وهذا البحث يشتمل على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، فالمقدمة وتتكون من: مشكلة البحث وأهميته وأهدافه والمنهج المتبع فيه وخطة البحث وأما المباحث الثلاثة: فقد تناولت حقيقة التدافع وتصنيفاته وأهميته في

القرآن والعلاقة بين التدافع والتعددية، ووضّحت حقيقة التعددية وأنواعها وضبط مفهومي التدافع والتعددية ودورهما في تعزيز قيم الحضارة الإنسانية والتعايش السلمي ،وقد خلُص البحث إلى نتائج منها: أن التدافع يقوي العلاقات الإنسانية ويفرض احترام حقوق الإنسان ويُعطي صورة حقيقية عن الإسلام ويروم إلى التعايش السلمي ويسمو بالخصومة في ظل التعددية عن أن تنزلق إلى مزالق الانفعالية من جراء معترك الأهواء وحب الذات وتفرق الأهواء، وتصادم الاتجاهات.

الكلمات المفتاحية: التدافع، التعددية، الصراع، التعايش، السلمي.

The philosophy of stampede and its role in peaceful coexistence
"Nodal intellectual study"

Muhammad Ali Mansour Mazra'a
Department of Doctrine and Philosophy, Faculty of Sharia, Qaseem University, Saudi Arabia.
Teacher, Department of Religious Origins, Faculty of Islamic and Arab Studies, for boys, Al-Azhar, Cairo.
Email: Dr_mazroua. 124@azhar.edu.eg

Abstract:
The research aims to demonstrate the characteristics of the stampede and place it in its proper framework, and to illustrate the nature of the relationship in the light of religious and intellectual pluralism, the gifts of the Islamic religion are reflected to reveal the guarantees of peaceful coexistence, and the search reveals the systematic constants underlying the scramble in the face of the so-called conflict of civilizations. Because of different goals and objectives, conflicting purposes, and where the meeting was hence different and scrambling a system of connecting, legitimizing and governing, Islam is a comprehensive and integrated religion that meets all the purposes of public life and not - as some believe - is confined to certain doctrines, rites and rituals like others, Islam covers all spheres of human life, especially since its legitimacy is integrated and encompasses all cultural values. To study this topic, and to address its issues, this research was entitled " This research also highlights the role of Quranic gifts in addressing widespread intellectual suspicions about the concept of stampede, and precisely identifies the right concept of stampede so as to contribute to the direction and treatment of civilizations and their problems. The problem and importance of research, its objectives, its approach, the research plan and the three investigators: It addressed the reality, classification and

relevance of the stampede in the Koran and the relationship between the stampede and pluralism, clarified the reality and types of multilateralism and regulated the concepts of the stampede and pluralism and their role in promoting the values of human civilization and peaceful coexistence.

The research concluded, inter alia, that the scramble strengthens human relations, imposes respect for human rights, gives a true picture of Islam, aims at peaceful coexistence and heightens adversarial antagonism as it slips into the pitfalls of emotion as a result of passion and self-love, dispersal and confrontation of attitudes.

Keywords: Stampede,Pluralism,Conflict,Coexistence,Peaceful**.**

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أم بعد:

إن الإنسان كائن حي اجتماعي، ونفس كل إنسان فيها نزوع إلى الاجتماع، وهذه الحالة توجب التفاعل والتعارف بين بني البشر، وقد نبه الله – ﷻ – أنه خلق عباده بين ذكر وأنثى، وجعلهم أصهارًا وقبائل وشعوبًا للتعارف والتواصل، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1] فقد حصر –ﷻ–حكمة جعلهم كذلك للتعارف والاجتماع لا للتناكر والصراع.

وسبب التعارف في الحقيقة هو الاختلاف؛ لأنه ليس بالاختلاف الذي يفرق ويبعد بين الشعوب والمجتمعات كلا، إنه مجرد اختلاف في الحظوظ والغايات بحيث لا يجعل لأمة ميزة على أخرى في الحقوق والواجبات المنوطة بخلق الله.

ولعل الحكمة من هذا الاختلاف يفصح عنه قول الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2] فالناس بناءً على هذا الاختلاف القائم بينهم، وبحكم حالتهم المعيشية مسخرون لكي يخدم بعضهم البعض، الجميع خادم ومخدوم، أيًا كان مركزه ووضعه ومكانته الاقتصادية، فهناك تكامل.

(١) سورة الحجرات، الآية:١٣.

(٢) سورة الزخرف، الآية:٣٢.

وفي ظل هذا الاختلاف الذي لا ينفك عن بني البشر؛ لكونه نظامًا لحياتهم، وبه ينتظم معاشهم يقع التدافع، مادة الحياة والبناء العمراني ومحرك عجلة العمل والحياة على المعمورة.

إن النظام الكوني كله –كما هو مشاهد– قائم على قاعدة وقانون التدافع، فالليل يدفع النهار ولو توقف هذا الفلك الدوار، لأصبح الليل سرمدًا إلى يوم القيامة، وهذا السنة قائمة من أجل الحفاظ على التوازن في الكون، ولولاها لفسدت الأرض﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(١).

وإن الناظر في آثار رحمة الله يدرك ويؤكد إدراكه شواهد التاريخ أن منهج التدافع لأحد سمات الاجتماع البشري، والوجود الإنساني، وهو عامل في بناء الحضارات، وانتقالها، ومد جسور التعاون والتواصل، بالإضافة إلى التعايش السلمي، مع مراعاة خصوصية كل حضارة.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة، فقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(٢) وهذا التدافع أمر طبعي في كل اجتماع بشري؛ نظرًا لاختلاف الأهداف والغايات، وتعارض المقاصد.

وحيث كان الاجتماع فمن ثم الاختلاف فالتدافع، فلا بد من نظام يربط، وشرع يحكم، والإسلام دين شامل متكامل يلبي كل أغراض الحياة العامة وليس– كما يعتقد–البعض محصورًا في بعض العقائد والشعائر والطقوس كالعقائد الأخرى، فالإسلام يغطي كل مجالات الحياة الإنسانية، لا سيما أن شريعته متكاملة تشمل كافة القيم الحضارية، قال الله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن

(١) سورة البقرة، الآية:٢٥١.

(٢) سورة الحج، الآية:٤٠.

شَيۡءٖ﴾[1] ولدراسة هذا الموضوع، ومعالجة قضاياه كان هذا البحث المعنون له بـ(مفهوم التدافع ودوره في التعايش السلمي دراسة تحليلية)

أهمية الموضوع: وتكمن أهمية الموضوع في كونه يوضح خصائص وأهداف التدافع، ويصفه وصفًا واضحًا يزيل ما أحاط به من ملابسات، ويضعه في إطاره الصحيح، ويفسر جميع الظروف المحيطة به.

كما يسهم هذا الموضوع في تصحيح المفاهيم المتعلقة بالتدافع، ويرصد النظرة القاصرة، والتفكير المحدود الذي يدعو للعدوانية، ورفض الآخر.

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في تساؤل رئيس هو: ما حقيقة التدافع، وما هو دوره في التعايش السلمي؟ ويرتبط بهذا التساؤل أسئلة فرعيه منها:

١- ما هو المفهوم القرآني للتدافع؟ وما هي الثوابت المنهجية التي يقوم عليها والوسائل التي ينطلق منها؟

٢- ما الفرق بين التدافع والصراع؟ وما هو دوره في ظل التعددية الدينية والفكرية؟

٣-ما هي ضمانات وأسس التعايش؟

٤-متى يخرج التدافع عن إطاره الصحيح، ومنهجه القويم؟

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

١-تعميق مفهوم التدافع؛ لعدم إدراك البعد الفكري له، ومن ثم الخلط بينه وبين الصراع.

٢-الكشف عن الثوابت المنهجية التي تقوم عليها قضية التدافع.

٣-محاولة إيجاد بديل إسلامي يكون في مواجهة ما يسمى بصراع الحضارات.

(١) سورة الأنعام، الآية:٣٨.

٤–رفض وعدم قبول فكرة الصراع التي تبعد عن المنهج الإلهي، والمبدأ العقلي، والمنطق الفطري، وتنطلق من مصالح شخصية، من شأنها تولد العداء والبغضاء بين مختلف أتباع الحضارات.

٥–إزالة المفاهيم المغلوطة، والأحكام المسبقة الخاطئة حول رؤية الإسلام للآخر.

٦–مد جسور التفاهم والتواصل، وتعزيز دور التعايش السلمي والعمل المشترك، وإرساء القيم الحضارية النبيلة بين الشعوب

٧–الحث على احترام التعددية الدينية، وإعلان أن هذه التعددية الدينية لا تستلزم الصراع، وأن التدافع مدعاة لإثراء الحياة الإنسانية.

٨–كشف اللثام عن العوامل التي تخرج التدافع عن إطاره الإنساني.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقصاء في مراكز المعلومات، وقواعد البيانات، وفهارس كثير من الجامعات، ومراكز البحوث لم أقف على دراسة قامت بضبط هذا المفهوم ووصفه وصفًا واضحًا يزيل ما أحاط به من ملابسات ووضعه في إطاره الصحيح، وفق الثوابت المنهجية التي يقوم عليها في توجيه الحضارات وعلاج مشكلاتها.

منهج البحث: اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي في تحليل معنى التدافع، ببيان ماهيته وحقيقته وتصنيفاته، وتصويرًا لطبيعة العلاقة في ظل التعددية الدينية والفكرية.

خطة البحث: قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة فأما المقدمة والتي نحن بصددها فتتكون من: أهمية الموضوع، ومشكلة البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته.

وأما المبحث الأول فعنوانه: مفهوم التدافع ومشروعيته، وأهميته وبيان حقيقته، وتصنيفاته.

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ماهية التدافع وبيان حقيقته.

المطلب الثاني: أهمية التدافع.

المطلب الثالث: تصنيفات التدافع.

المبحث الثاني: التعددية الدينية والفكرية وضمانات التعايش.

المطلب الأول: التعددية الدينية والفكرية في المنظور الإسلامي.

المطلب الثاني: فقه الاختلاف.

المطلب الثالث: ضمانات وأسس التعايش.

المبحث الثالث: وسائل التدافع، والفرق بينه وبين الصراع، وعوامل إخراجه عن مقاصده.

المطلب الأول: وسائل التدافع.

المطلب الثاني: الفرق بين التدافع والصراع.

المطلب الثالث: العوامل التي تخرج التدافع عن مقاصده.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث

المبحث الأول: مفهوم التدافع، وبيان حقيقته، وأهميته

المطلب الأول: ماهية التدافع وبيان حقيقته.

أولًا: التدافع في اللغة.

تدافع من الفعل الثلاثي المجرد دَفَعَ والمصدر الدفع وهو: الإزالة بقوة، تقول: تدافع القوم أي: دفع بعضهم بعضًا، وتدافعوا الشيء: دفعه كل واحد منهم عن صاحبه، ورجل دَفّاع ومِدْفَع: شديد الدفع، واستدفعت الله – تعالى– الأسواء أي: طلبت منه أن يدفعها عَنِّي(١).

وإذا عدى دفع بـ"إلى" اقتضى معنى الإنالة نحو﴿فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ (٢) وإذا عدى بـ"عن" اقتضى معنى الحماية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ

(١) لسان العرب، ابن منظور، جـ٨صـ٨٧، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٤هـ، دار صادر، بيروت.
(٢) سورة النساء، الآية:٦.

ءَامَنُوٓاْ ﴾[١]وقال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٢]وقوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴾[٣][٤].

وتدافع على وزن تفاعل الدال على مشاركة أمرين فصاعدًا ولا يأتي إلا لازمًا مثل: تقاسما أو تقاسموا أي: اشتركا أو اشتركوا في القسمة[٥].

فالدفع وهو الإزالة بقوة إما أن يكون من شخص واحد منفردًا يزيل عن نفسه ويدافع عنها، وفي هذه الحالة يتعدى بعن، قال تعالى: ﴿فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ ﴾[٦] أو أن شخصًا آخرًا هو الذي يزيل عنك ويدفع،فيتعدى الفعل بعن كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾[٧].

خاصة على قراءة أبو عمرو ويعقوب وابن كثير، بفتح الياء وإسكان الدال بلا ألف على أنه ضمير الله تعالى[٨].

(١) سورة الحج، الآية:٣٨.
(٢) سورة البقرة، الآية:٢٥١.
(٣) سورة المعارج، الآية:٢.
(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، صـ٣١٦، تحقيق/ صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى سنة١٤١٢هـ، دار القلم، دمشق– بيروت؛ والكليات، الكفوي، صـ٤٥٠، تحقيق/ عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
(٥) انظر شرح شافية ابن الحاجب، ركن الدين الأستراباذي، جـ١صـ٢٥٦، تحقيق الدكتور/ عبد المقصود محمد عبد المقصود، الطبعة الأولي سنة ١٤٢٥ هـ– ٢٠٠٤م، مكتبة الثقافة الدينية.
(٦) سورة آل عمران، الآية:١٦٨.
(٧) سورة الحج، الآية:٣٨.
(٨) شرح طيبة النشر في القراءات العشر، محب الدين النُّوَيْري، جـ٢صـ٤٦٤، تحقيق الدكتور/ مجدي محمد سرور سعد باسلوم، الطبعة الأولى سنة١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية – بيروت.

وقراءة أبي جعفر وشيبة ونافع ويعقوب وأيوب في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ (١) بالألف ها هنا وفي سورة الحج،واختاره أبو حاتم، واختار أبو عبيدة قراءة الجمهور"وَلَوْلَا دَفْعُ" بصيغة المجرد، وأنكر أن يقرأ "دفاع" بصيغة المفاعلة؛لأن الله لا يغالبه أحد، وهو الدافع وحده، وقال أبو حاتم:وقد يكون الفعال من واحد مثل قول العرب: أحسن الله عنك الدفاع، وعافاك الله، وعاقبه الله(٢) .

وإضافة التدافع إلى الله مجاز عقلي؛ لأن الذي يدفع حقيقة هو الذي يباشر الدفع في متعارف الناس، وإنما أسند إلى الله؛ لأنه الذي قدره وقدر أسبابه(٣) .

فالتدافع يحتمل معنى الدفاع وبالتالي يمكن لحضارة أن تتصدى عن حضارة أخرى غارات وتعدي حضارة ظالمة، بأن يدفع الله – سبحانه وتعالى– حضارة تقوم لحماية أمة مستضعفه،قال تعالي: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٥).

ويأتي الخماسي المزيد من مادة دفع"د ف ع" ليدل على مشاركة أثنين فصاعدًا نحو: تدافع الناس إذا اشتركوا في التدافع فيما بيتهم.

---

(١) سورة البقرة، الآية:٢٥١.

(٢) راجع تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق الثعلبي، جـ٢صـ٢٢٤، تحقيق الإمام/أبي محمد بن عاشور، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.؛ الجامع لأحكام القرآن الكريم، جـ٣صـ٢٥٩، الإمام/ القرطبي، تحقيق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية سنة١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، دار الكتب المصرية.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، جـ٢صـ٥٠١، طبعة سنة ١٩٨٤هـ، الدار التونسية للنشر، تونس.

(٥) سورة الحج، الآية:٤٠.

ومن مدلولات هذا المفهوم أنه يعطي معنى"التعايش"وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[١] ويعطي كذلك معنى" الرد بالحجة الدامغة والبرهان الساطع " وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[٢] .

ثانيًا: التدافع في الاصطلاح.

إن مادة التدافع بكل تصرفاتها في القرآن الكريم يطلق ويراد بها: دفع الناس بعضهم بعضًا في الرزق أو في جلب المنفعة أو رفع الضرر أو في درء مفسدة عن الناس، ومنها استدفع الله السُّوء: أي طلب منه أن يدفعه عنه[٣].

وهو: سنة إلهية، وظاهرة اجتماعية، وحالة كونية تنشأ حال الاحتكاك بسبب تباين المقاصد والأهداف، وبه يُحفظ للكون توازنه واستقامته.

ومن التعريفات الجامعة المحددة للهدف والغاية أنه هو: طريقة الله – تعالى– في توجيه التفاعل بين القوى المتعددة بحيث يؤثر كل منهم في الآخر ويتأثر به، إيجابًا وسلبًا، وذلك بصورة مستمرة ومتتابعة، تسهم في تحقيق التوازن بينهما أولًا، وتنتهي بظهور بعضها على البعض الآخر، فبتدافع القوى تتحقق المعادلة بين قوى الخير فيما بينها، وقوى الشر فيما بينها أيضًا، وتأخذ كل قوى محلها ومكانها، إيجابًا في تحقيق التوازن في العلاقة بين المتضادات نحو التصادم والتصارع، حيث تنقضي بعض هذه القوى في عملية التدافع وتبرز قوى أخرى، فتكون لها الريادة والسبق، وهكذا ليستمر التوازن قائمًا في فاعلية سنة التدافع بين الناس في الحياة[٤].

---

(١) سورة فصلت، الآية:٣٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآية:٩٦.

(٣) موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، صـ١٢٥، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر.

(٤) سنة التدافع من منظور إسلامي،معاذ بيانوني،مجلة الإسلام في آسيا،جـ٨ صـ١٣٥،العدد الأول يونيو سنة٢٠١١م

وحقيقته في الرؤية الإسلامية:دفع الآخر وتحريكه من موقع العداوة والنزاع، إلى موقع التعاون والتفاعل مع مختلف الأنماط الحضارية والسعي للاستفادة منها(١).

المطلب الثاني: أهمية التدافع.

تكمن أهمية التدافع، وتظهر من خلال المحاور التالية:

أولًا: التعاون والتعايش في إطار القيم المشتركة.

ولم لا والمنهج الإسلامي دعوة إيجابية قائمة على التسامح والحب، ونشر قيم السلام، والمثل الإنسانية، ومحاربة الظلم والاستبداد، فالتدافع ليس نصًا فيما يكون بالحرب والقتال، بل هو عام في الجهاد وغيره، وفي جميع الناس مسلمهم وكافرهم، وقد وضح ربنا – تبارك وتعالى– أن من نتائج وآثار هذه الحالة تطهير الأرض من الفساد، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾(٢).

وفساد الأرض يعني: بطلان منافعها، وتعطيل مصالحها من الحرث والنسل وغير ذلك من سائر أسباب العمران، ولكن فساد الأرض غير واقع بعد فرض وجود الدفاع إذ إن " لولا " حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط، والمعنى امتنع فساد الأرض لوجود دفع الله الناس بعضهم ببعض.

ومعنى الآية كما ذهب بعض أهل التأويل:" لولا ما ينتفع بعض الناس ببعض؛ لأن في كل أرض بلدة يتولد فيها شيء لا يوجد ذلك في سائر البلدان

(١) السنن الاجتماعية ومنطق التدافع والتعارف الحضاري،الأستاذ/ بو عبيد صالح الأزهار، صـ١١٥، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، دار الكلمة- مصر.

(٢) سورة الحج، الآية:٢٥١.

فينتفع بها أهل سائر البلدان وينتفع بعضهم ببعض، فيكون في ذلك صلاح أهل الأرض"[١].

وقال بعضهم: لو قيل غير هذا كان أشبه وأقرب وهو أن الله خلق هذا الخلق وجعل بعضهم عونًا لبعض وردءًا في أمر المعاش والدين جميعًا، وجعل لبعضهم منافع متصلة ببعض ما لو كلف كله القيام بنفسه فيه لهلكوا ولم يكن في وسعهم القيام بذلك، نحو أن يكلف أحدًا بالقيام بجميع ما يحتاج إليه من الحراثة، والزراعة، والحصاد، والطحن، والخبز وغيره، ما لو كلف بنفسه بذلك كله لهلك، ولكن جعل بعضهم عونًا لبعض وردءًا لهم، وانتفاع بعضهم ببعض"[٢] فالتدافع يؤدي إلى خير للإنسانية كلها، كما أنه يقوي الأمم، بينما التفرقة وعدم التعاون يؤدي إلى ضعف الأمم.

فالتدافع يتحمل عدة معان من ضمنها: التعاون والتعارف نظمًا لأمر المعاش، وضمانًا لبناء حضارة إنسانية راقية، فكلمة"التعارف" لفظة قرآنية تروم التقريب وخلق مستويات عالية من التناغم والتفاهم والتعارف بين الأمم والشعوب المختلفة، فهي بديل عن منطق التناكف والتناكر الحاصل بين هذه الأنساق الحضارية الموجودة في ساحة المدافعة[٣] قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [٤] وليس لتتصارعوا، ففارق كبير بينه وبين الصراع.

(١) بحر العلوم، أبي الليث السمرقندي، جـ١صـ٢٢١، تحقيق الشيخ/ علي محمد معوض وآخرين، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.

(٢) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، جـ٧ صـ٤٢٤، تحقيق الدكتور/ مجدي باسلوم، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.

(٣) السنن الاجتماعية ومنطق التدافع والتعارف الحضاري، صـ١٢.

(٤) سورة الحجرات، الآية:١٣.

إن لفظة " التدافع " فيها دلالة على التنافس والتعاون، وفيه إشارة–أيضًا– إلى نقل الآخر المتغاير من موقع العداوة إلى موقع الولي الحميم.

والتدافع عامل من عوامل استقرار الحضارة وازدهارها، ودافع قوي لتوجيه الجهد لصالح البشرية، وسعادة الإنسان، أما الصراع والصدام فهو انحراف في السلوك الإنساني، ودافع إلى الشقاء والتخلف الحضاري، والإسلام لا يحمل في مبادئه وأهدافه هذه الأفكار، فهو رسالة رحمة للعالمين، ونموذج هداية مستمد من وحي السماء، ولا أدل على ذلك من أنه احتوى كل الحضارات التي حاولت ومازالت تحاول فرض قانون الصراع في التعامل معه،حتى غدا جزءًا من حضارتها، وما عرفوا المعنى الحقيقي للحضارة الإنسانية إلا بعد اختلاطهم بالشعوب الإسلامية.

فمن سلبيات الصراع والصدام، أنه يفرض تصورًا عقليًا رافضًا لما عند الآخر وعدم الإيمان به وبهذا يخرج عن المسار الصحيح، ويحاول فرض نفسه بالقوة وهذا غير موجود في الإسلام؛ لأنه يتعارض مع مبادئه القائمة بمقتضى قول الله تعالى:﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1]وقوله تعالى:﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [2].

(١) سورة الممتحنة، الآيتان:٨، ٩.

(٢) سورة النحل، الآية:١٢٥.

ولقد عالج الإسلام أسباب الصراع بين المجموعات البشرية، والتي تكاد لا تخرج عن المصالح وإن زعم البعض خلاف ذلك وحاولوا اتهام الدين وجذبه ليكون طرفًا في القضية.

أما المصالح فقد قننها الإسلام وحماها وحفظها بقوة الشريعة، رغبة منه في وضع حدًا للصراعات، ورسم إستراتيجية واضحة للمصالح الجوهرية التي يقوم عليها كيان المجتمع الإنساني بأسره.

والمصالح على ثلاث مراتب: ضروريات، حاجيات، تحسينات.

فالمصالح الضرورية: أصل المصالح كلها، وهي ما لا يستغنى الناس عن وجودها بأي حال من الأحوال ويراد بها درء المفسدة عن الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وهذه الأمور الخمس هي عصب الحياة، وعليها وبها يقوم المجتمع الإنساني، والحفاظ عليها مسؤولية مشتركة بين الجماعات الإنسانية.

أما الحاجيَّات: وهي ما يحتاج الناس إليه لتحقيق مصالحهم الحياتية وانتظامها، وتتمثل في سائر المعاملات.

أما التحسينيات: فهي الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ومكانتها تتحدد في كونها مكملة للحاجيات، وخادمه للضروريات، وربما أدى الإخلال بها إلى الإخلال بالضروريات[١] وأنه ربما إذا تعرضت المصالح الضرورية للخلل أدى ذلك إلى اختلال المصالح الحاجية والتحسينية، وإذا اختل حكم حاجي أو تحسيني فإنه يؤثر بطريق غير مباشر على المصالح الضرورية بوجه من الوجوه، لذلك يجب

(١) انظر الموافقات، الإمام/ الشاطبي، جـ١ صـ٢٠، جـ٣صـ٥٦٢، تحقيق/ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، دار ابن عفان.

المحافظة على المقاصد الحاجية، والمقاصد التحسينية حتى لا تتعرض المصالح الضرورية للخلل(١).

والغرض من مراعاة هذه المقاصد في الشريعة الإسلامية، تنظيم التدافع والتعاون، وترسيخ القيم النبيلة في المجتمعات الإنسانية، والقضاء على فكرة الصراع والصدام المختلقة، والإسلام ليس بينه وبين غيره خلاف يصل إلى حد الصراع فهو:

١- يقرر ويعلن المساواة المطلقة بين الناس، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٢).

٢- يعترف بالآخر وبحقوقه ودينه، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ﴾(٣) وقال تعالى:﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ (٤).

٣- يوفر للآخر المناخ لإقامة شعائره وطقوسه داخل ديار الإسلام،مع العدالة في معاملته حتى ولو حال الحرب، قال تعالى:﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (٥).

٤- الاعتراف بالتنوع الحضاري والاختلاف، قال تعالى:﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (٦).

---

(١) راجع الوجيز في أصول الفقه الإسلامي،جـ١صـ١٢٣،الأستاذ الدكتور/ محمد مصطفى الزحيلي، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م،دار الخير، دمشق – سوريا.

(٢) سورة الحجرات، الآية:١٣.

(٣) سورة الممتحنة،الآية:٨.

(٤) سورة الكافرون، الآية:٦.

(٥) سورة الأنفال، الآية:٦١.

(٦) سورة هود، الآية: ١١٨.

أما ثقافة العداء والنزاع، ومحاولة القضاء على الأخر، فإنها تتنافى مع تعاليم الإسلام الذي يراعي الكرامة الإنسانية ويرفع راية التسامح والسلام، ويصون حرمة النفوس والأعراض.

إن التدافع يبطل فكرة الصراع الغربية الذي روج لها كُتاب غربيون منهم على سبيل المثال:

"صامويل هنتنغتون" في كتابه "صراع الحضارات" والمفكر الأمريكي الياباني الأصل" فرنسيس فوكاياما" في كتابه"نهاية التاريخ" وهذه النظريات تنكر المعرفة والإحاطة الإلهية بالعالم، وكأن هناك مصدر أخر للمعرفة والعلم، وتجهل ما يجمع الإنسانية من منطلقات في المبدأ والمآل.

ومع هذا فإن هذه الكتابات تعطي صورة واضحة لموقف الغرب من الإسلام، وهنا تظهر أهمية هذا البحث الذي يعمق مفهوم التدافع كمنهج إلهي بديلًا عن فكرة الصراع، يدعو إلى التواصل والتلاقي، ويدعم مقومات الحضارة الإنسانية ويغنيها بما يقوي بنيانها، ويحفظ مسيرتها.

ثانيًا: ومن أهمية التدافع، تحقيق الأمن والسلام على الأرض.

فإن الإسلام رسالة عالمية تهدف إلى مقاصد سامية من أهمها: تعايش مثمر بين البشر جميعًا والتدافع يضبط مسار المجتمع، ويرفع عن كاهله الممارسات الخاطئة، والانحرافات السلوكية والفكرية المتزمتة على مستوى الفرد والجماعة.

فالمسلم ينبغي أن يكون نموذجًا وسفيرًا للسلام والأمن، ومصدرًا للطمأنينة في المجتمع باعتباره مسلمًا يقرع أسماعه قول الله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (١) وقوله تعالى:﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا

(١) سورة المؤمنون، الآية:٩٦.

بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1] وقوله تعالى:﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[2].

بل تذهب الآيات القرآنية إلى أبعد من ذلك،إذ تأمر المؤمنين أن يتنزهوا عن سب الآلهة الزائفة الباطلة التي يعبدها المشركون من دون الله،قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[3] حتى المستجير المستأمن، فقد أمر الله في كتابه بإجارته ثم يبلغ مأمنه، فقال الله تعالى:﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾[4].

ثالثًا: ومن أهمية التدافع، عمارة الأرض.

إن الله – عز وجل– يأمرنا بعمارة الأرض، وذلك في قوله تعالى﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا ﴾[5] ومعلوم عند علماء اللغة أن السين والتاء للطلب، قال الكياج:"يدل ذلك على وجوب عمارة الأرض؛ لأن الاستعمار طلب العمارة، والطلب المطلق منه –تعالى– للوجوب[6].

فمهمة الإنسان عبادة الله، وعمارة الأرض بما يحقق الأمن والسلام، وعلى الإنسان أن يسخر كل طاقاته لهذا الهدف لترقية الحياة البشرية، ويُعد التقصير

(١) سورة العنكبوت، الآية:٤٦.
(٢) سورة الأنفال، الآية:٦١.
(٣) سورة الأنعام، الآية:١٠٨.
(٤) سورة التوبة، الآية:٦.
(٥) سورة هود، الآية: ٦١.
(٦) الإكليل في استنباط التنزيل،جلال الدين السيوطي،صـ١٥١،تحقيق/سيف الدين عبد القادر الكاتب، طبعة سنة ١٤٠١هـ –١٩٨١م، دار الكتب العلمية، بيروت.

في تحقيق هذا الهدف مخالفة تفسد الأرض، وقد نص القرآن الكريم على أن التدافع يحول بينها وبين الفساد، وهذا مبدأ أساسي للحياة أقامته الحكمة الإلهية؛ لضمان التعايش السلمي بين البشر، وفرض التعاون بينهم على عمارة الأرض وصلاحها، وهذا مبدأ حفظ التوازن بين القوى المتصارعة، وبث الخوف والحذر في الجبهات المتنافسة، حتى يحسب بعضها الحساب للبعض الآخر، فيصدهم ذلك عن الطغيان والعدوان، ويتمكن الإنسان من تحقيق رسالته في الأرض التي هي رسالة الإصلاح والعمران، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١][٢].

إن هذه الأرض هبة من الله – تعالى– للناس جميعًا ومسؤولية حمايتها مسؤولية جماعية، قال الله تعالى:﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[٣] أي بسطها ووطأها للخلق ليستقروا عليها ويقتاتوا منها وقد شرع –سبحانه– من الأحكام ما يحافظ عليها، ويحميها من عبث العابثين، قال تعالى:

﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٤] أي بعد أن جعلها لكم صالحة لمعاشكم ومقامكم فيها، وبعد ما أمر وبين لكم ما به صلاحكم[٥].

رابعًا: ومن أهمية التدافع، إتاحة سبل التعايش وتحقيق القيم المشتركة.

---

(١) سورة البقرة، الآية:٢٥١.

(٢) التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري، جـ١صـ١٦٣، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان.

(٣) سورة الرحمن، الآية:١٠.

(٤) سورة هود، الآية:٨٥.

(٥) تأويلات أهل السنة، جـ٤صـ٤٩٦.

التدافع الفكري الثقافي قناة مهمة من قنوات الاتصال بالآخر والتعرف عليه، والاتفاق على قيم مشتركة تجمع بين الجميع، وتكون عاملًا للتعاون، ومد جسور الأمن والسلام، ونبذ الكراهية والعداء، ولذا قال الله تعالى:﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ (١) وهدم هذه الأماكن إشارة من الحق – سبحانه– إلى أهمية التدافع الإيجابي في بناء الحضارات المختلفة.

وفي سبيل التعايش وبِناءً لقيم التواصل والتفاهم بين البشر، والعمل معًا لغرس قيم ومفاهيم مشتركة، يقول الله تعالى:﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (٢) إنه النظام الإسلامي الذي يرغب في أن يجمع الناس جميعًا تحت لوائه متحابين متواصلين متعاونين.

المطلب الثالث: تصنيفات التدافع.

ومع أن للتدافع صورًا سلمية، فإن له – أيضًا– صورًا للمواجهة قد تصل إلى حد القتال في حالات، ولكن هذا التدافع القتالي له دستوره المصاغ في أسلوب التوجيه المربي المحرك للنشاط الإنساني، وعليه فيمكن أن نقسم التدافع باعتبار قصده وأهدافه إلى ثلاثة أنواع وهم:

الأول: التدافع التنازعي.

الثاني: التدافع الحضاري.

الثالث: التدافع الفكري.

(١) سورة الحج، الآية:٤٠.

(٢) سورة الممتحنة، الآية:٨.

أمـا الأول: فقد أخبر الله – سبحانه وتعالى– أنه مكروه للنفوس، فقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[١] والقتال أيّا كان، وفى أي وجه يكون، هو مكروه، لا تقدم عليه النفوس إلا متكرهة له، ضائقة به، ولهذا كان قوله تعالى﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ عزاء للنفوس ومواساة لها في حمل هذا المكروه، وإساغة ما فيه من مرارة[٢].

هذا النوع من التدافع ليس من أهدافه الاستيلاء على الآخر والاستحواذ على ممتلكاته وقهره، بل هو أحد العلاجات حين لا ينفع التعامل بالحكمة والموعظة الحسنة.

يفرض هذا النوع لإزالة عقبات تهدد أمن وسلامة المجتمع، ولرفع الظلم والاضطهاد والقهر، والحق المسلوب، قال الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[٣].

ففي هذه الآية تعليل للإذن بالقتال، والسبب أنهم ظُلموا بالاعتداء عليهم وإخراجهم من ديارهم بغير حق إلا أن يدينوا دين الحق، وأنه لولا إذن الله للناس بمثل هذا الدفاع لهدمت المقدسات التي يذكر فيها اسم الله وتقام فيها الشعائر.

بالإضافة إلى أن من أهداف الحرب في الإسلام، القضاء على الفتن، قال تعالى﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية:٢١٦.

(٢) التفسير القرآني للقرآن،عبد الكريم الخطيب، جـ١صـ٢٣٩، دار الفكر العربي، القاهرة.

(٣) سورة الحج ، الآيتان:٣٩، ٤٠.

(٤) سورة الأنفال، الآية:٣٩.

فالحرب والقتال في الإسلام للدفاع وليس للعدوان والتعدي، قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾(١) وهو نهي عام عن مجاوزة الحد الذي حده الشرع، وتنبيهًا على الأسس والشروط التي ينبغي أن تراعى، وقد وضحها النبي -ﷺ- أثناء وصاياه للجيوش،حيث قال لهم:"أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ"(٢) وقوله ﷺ:"لَا تُقَاتِلُهُم حَتَّى تَدْعُوهُم إِلَى الْإِسْلَامِ"(٣) وقوله ﷺ إذا بعث جيوشه:" اخْرُجُوا بِسْمِ اللهِ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، لَا تَغْدِرُوا، وَلا تَغُلُّوا، وَلا تُمَثِّلُوا، وَلا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ، وَلا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ"(٤).

فالحرب في الإسلام، تغشاها دائمًا الرحمة، والاعتداء يكون بمثله لا يتعداه، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾(٥)ففي حالة رد العدوان يجب الالتزام بأمرين:

الأول:عدم البدء بالاعتداء، وعدم التجاوز فيه.

الثاني:الالتزام بالمواثيق والعهود، والتحلي بالفضيلة،ومن طالع صفحات التاريخ أدرك أن الإسلام دعوة سلام ورحمة، ولم يكن يومًا من الأيام دين حرب وإرهاب، وصدق النبي المصطفى حين وصف دعوته بقوله:" أَنا نَبِي الرَّحْمَة،

(١) سورة البقرة، الآية:١٩٠.

(٢) صحيح البخاري، جـ٤صـ٥١،كِتَابُ: الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابٌ: كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ-إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ أَوَّلَ النَّهَارِ أَخَّرَ القِتَالَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ، وباب: بَابُ كَرَاهِيَةِ تَمَنِّي لِقَاءِ العَدُوِّ، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة.

(٣) المسند،الإمام/أحمد بن حنبل، جـ٣٩صـ٥٢٨، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وآخرين، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة.

(٤) المسند، جـ٤صـ٤٦١.

(٥) سورة البقرة، الآية:١٩٤.

وَنَبِي الْمَلَاحِمِ"[١] وصدق الله العظيم حين قال في حقه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [٢].

إن الإسلام يدعو إلى سلام يعم البشرية بأسرها، وينقذها مما تتخبط فيه من انقسامات واختلافات تهدد مصيرها بالفناء.

نستطيع أن نقول: إن تحقيق مفاهيم السلام وتطبيقها بين بني الإنسان، وعلى أرض الله المعمورة، من المقاصد العظيمة للإسلام، وهي أصل علاقة المسلم بغير المسلم، وهو مبدأ من المبادئ المشتركة بين الناس على مختلف عقائدهم، والتدافع هو أساس عملية تنسيق الجهود التي يبنى عليها مبدأ السلام، بمعالجة المشكلات القائمة، وأبرزها قضية التطرف والإرهاب.

النوع الثاني: التدافع الحضاري.

فهو ذلكم التدافع الذي يروم دفع الآخر للعدول عن مواقفه المتعصبة والعدوانية عن الآخر المتمايز عنه وإشراكه في تحقيق المصلحة والمنفعة العامة للنوع الإنساني على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم، فيربح جميع الأطراف المتدافعة، ويساهم الجميع في صنع مستقبل الجميع[٣].

إن التدافع المطلوب اليوم، هو ذلك التدافع ذي المقصد التعاوني الذي ينطلق من إشراك الجميع في تحمل مصير ومستقبل الإنسانية كافةً، وينتهي بإصلاح المعمور من الفساد والإفساد المنتشر في الأرض والبحر والبر بما

(١) صحيح مسلم،جـ٤صـ١٨٢٨، كتاب: الْفَضَائِلِ، بَابٌ: فِي أَسْمَائِهِ ﷺ، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) سورة الأنبياء، الآية:١٠٧.

(٣) السنن الاجتماعية ومنطق التدافع والتعارف الحضاري، صـ١١٥.

كسبت أيدي الناس، قال الله تعالى:﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ (١)(٢).

يقول المفكر الفرنسي روجيه جارودي:" إن الرابطة الإنسانية الوحيدة حقًا، لجماعة إنسانية حقًا، تتمثل في اشتراك هذه الجماعة في مشروع عام، وتعاونها على تحقيق هذا المشروع بوصفه مشروعًا مشتركًا للإنسانية كلها توحده كلية، وهكذا يساهم كل شعب من خلال ثقافته الأصلية في أنسة الإنسان، ونموه وتقدمه الحقيقي في الإنسانية"(٣).

فالنفير الحضاري الجماعي عنصر أساسي ومقوم من المقومات العاملة في نشوء الحضارات، فالأمم لا تصنع الحضارة إلاّ بهبّة جماعية تحشد فيها قوى الفرد في نطاقه الداخلي ثم تحشد قوى الأفراد حشدًا جماعيًا لتحقيق هدف معين تحمله الفكرة التي تحدّد غاية الحياة... وإنَّ أي تخلف لهذا النفير، من شأنه أن يفضي إلى عطلة وتوقف في الحركة الحضارية.

ومن هنا كان العمل الحضاري سواء كان إبداعيًا أو استئنافيًا، عمل أمم وليس عمل أفراد فإنجاز التحضر لا يتأتّى إلا بانخراط جماعي لأفراد أمة ما، في عمل مُوحد يقوم به الأفراد في نطاق الهيئة الاجتماعية للأمة، فيكون الفاعل الحقيقي هو الهيئة الاجتماعية وليس الأفراد باعتبارهم أفرادًا(٤).

---

(١) سورة البقرة، الآية:٢٥١.

(٢) سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، محمد هيشور، صـ٣٧، الطبعة الأولى سنة١٤١٧هـ/١٩٩٦م، إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الرسائل الجامعية، القاهرة.

(٣) كيف نصنع المستقبل، روجيه جارودي، صـ١٨٢، ترجمة الدكتورة/ منى طلبة والدكتور/ أنور معين، الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار الشروف مصر.

(٤) عوامل الشهود الحضاري، عبد المجيد عمر النجار، صـ١٨٩، ١٩١،، الطبعة الثانية سنة ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان.

وعليه فينبغي تحويل الصراع السلبي السائد اليوم، إلى تفاعل إيجابي يقوم على أساس من التعايش السلمي، وأسلوب الحوار والتوافق، والإفادة من إيجابيات كل طرف من الأطراف، حتى يتحقق التوازن الإنساني الأمثل الذي أصبح في قرية عالم اليوم أكثر ضرورة من أي وقت مضى(١).

النوع الثالث: التدافع الفكري بين الثقافات وأهميته.

وهو القانون الإلهي أو السنة الإلهية التي تفرز الأصوات والأبقى والأصلح في كل شيء، سواء كانت أفكارًا أو آراءً، وهذه السنة من أجل ديمومة واستمرارية العملية الاستخلافية الإعمارية في الأرض، وعدم فسادها(٢).

فهذه العملية هي المسئولة عن بقاء الأفكار والمعتقدات السليمة والقضاء على المعتقدات والأفكار الفاسدة، المضلة المهلكة للأمم والشعوب، وصدق الله العظيم حين قال:﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾(٣).

هذا التدافع هو السبيل إلى إقامة الحجج والبراهين على خطر الأفكار والمعتقدات المتطرفة، ونستطيع به إزالة الشبهات التي تثار حول العقائد الصحيحة ونمضي في تبليغ دعوة الحق.

إنه التدافع الحضاري البنَّاء الذي يحقق الإصلاح، ويدفع إلى الارتقاء والتقدم وحب المعرفة، تلك المعاني التي أودعها الله فطبع الإنسان وسخره لطلبها، وتجد الشعوب في هذا التدافع الحضاري إشباعًا أفضل لحاجتها وارتقاء لمعاشها،

(١) العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي، عبدالحميد أبو سليمان، صـ٧٣، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار السلام، مصر.

(٢) مجلة البيان، العدد٢٣٨جـ١٠صـ٢١٥، المنتدى الإسلامي.

(٣) سورة البقرة، الآية:٢٥١.

واستعادة لتوازناتها وعافيتها الحضارية، وتستجيب بواسطته لأساليب ومناهج أفضل نوعًا وأكثر فاعلية في حياتها من هذا الوجود(١).

فالتدافع منهج حضاري، ومطلب ملح، ومقصد أساسي من أجل انتظام مفاهيم، وأفكار المجتمع الإنساني، وتحقيق التفاهم بينهم، لذلك هو السبيل لتنشيط ملكات وطاقات العقل البشري كي يواكب المستجدات في ميادين هذا التدافع.

لقد تعقدت كثير من أمور الحياة، وظهرت أفكار وبدع تخالف الحق، ويأباها حكماء العالم، وقد طال وبالها حتى نالت من الجميع، ولا سبيل إلى التصدي لها إلا من خلال قنوات التدافع.

لقد علمنا القرآن الكريم أن هذا التدافع الفكري هو السبيل للتقدم، وانتصار الحق على الباطل، وحلول الصلاح محل الفساد: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢)﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾(٣)﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(٤).

(١) العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي، صـ٧٠.
(٢) سورة البقرة، الآية:٢٥١.
(٣) سورة الحج، الآية:٤٠.
(٤) سورة فصلت، الآية:٣٣.

المبحث الثاني: التعددية الدينية والفكرية وضمانات التعايش.

المطلب الأول: التعددية الدينية والفكرية في المنظور الإسلامي.

* التعددية وموقف الإسلام منها.

من السنن الإلهية التي لا تتبدل، والمبادئ الإسلامية الثابتة التي لا تتغير، ليس في الألوان والأجناس فحسب، بل في العقائد – أيضًا– سنة التعدد ومبدأ الاختلاف، يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ (١) وقال تعالى:﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (٢) قال الحسن ومقاتل وعطاء في قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ "الإشارة للاختلاف أي: وللاختلاف خلقهم"(٣).

يقول الإمام الشاطبي:"ليس المراد ها هنا الاختلاف في أصل الخلقة، ولا في الْخُلُقِ، ولا فيما أشبه ذلك من الأوصاف التي هم مختلفون فيها، وإنما المراد اختلاف آخر، وهو الاختلاف الذي بعث الله النبيين ليحكموا فيه بين المختلفين، وذلك الاختلاف في الآراء والنحل والأديان والمعتقدات، هذا هو المراد، إلا أن هذا الاختلاف الواقع بينهم على أوجه:

أَحَدُهَا:الاختلاف في أصل النِّحْلَةِ، وهو قول جماعةٍ من المفسِّرين، منهم عطاء قال: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ (٤) قال: اليهود والنصارى والمجوس، والحنيفية (٥).

---

(١) سورة الروم، الآية:٢٢.

(٢) سورة هود، الآيتان:١١٨، ١١٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم، جـ٩صـ١١٥.

(٤) سورة هود، الآية:١١٨.

(٥) الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، جـ٢صـ٦٧١، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، دار ابن عفان، السعودية.

إن الفكر الإسلامي يؤصل للتعددية الحضارية تأصيلًا ينفرد به، إذ إنه يتميز بإنسانيته وفطرته، وقدرته على التعايش، كما أنه ينطلق جاعلًا من التعددية سنة من سنن الله في الاجتماع الإنساني، مستحضرًا الوسطية التي انفرد بها وهي تحمل بنفسها مبادئ العدل النائية بنفسها عن الإفراط والتفريط.

ولا شك أن التعددية الموزونة بميزان هذه الرؤية الوسطية تجمع وتبني ولا تفرق تهدم، وهذا ما كانت عليه الحضارة الإسلامية تجاه الحضارات الأخرى.

وفي ظل التعددية استطاعت الحضارة الإسلامية أن تمد جسور التواصل والتعارف؛ ليتعايش الناس في الإسلام، يربطهم مبدأ الأصل البشري الواحد، قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾(١).

فلا يعوق التواصل والتعارف الحدود الإقليمية أو العرقية العنصرية، أو الاختلافات الدينية والمذهبية، نلاحظ ذلك من النداء الحضاري في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن،ولا يمكن تجاوزه في هذا المقام هو :لماذا لم يكن الناس أمة واحدة، إما مهتدين، وإما ضالين؟ما الحكمة في جعلهم مختلفين؟وفي قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ إذا كان للاختلاف في العقيدة وهو غير مرضي عند الله، فكيف يريد الله أمرًا ولا يرضاه ولا يحبه؟ وكيف يشاؤه ويكونه؟وكيف يجمع إرادته له وبغضه وكراهته؟ وذلك؛ لكونه أمرًا مرادًا لغيره بخلاف المراد لنفسه، وهو مطلوب محبوب لذاته لما فيه من الخير وغالبًا ما يكون غاية ومقصدًا.

(١) سورة الحجرات، الآية:١٣.

أما المراد لغيره،فقد لا يكون مقصودًا لما يريد ولا فيه مصلحة بالنظر إلى ذاته،وإن كان وسيلة إلى مقصوده، فيجتمع فيه الكراهية والندب، فهو مكروه لذاته ونفسه، ومراد من حيث الوصول إلى مراده، فيجتمع فيه البغض والإرادة ولا يتنافيان؛ والسبب هو اختلاف متعلقيهما، وبالمثال يتضح المقال:

الدواء قد يكون كريهًا لذاته، ولكنه محبوبًا بالنظر إلى مقصوده وغايته وهو الشفاء، ومثله قطع العضو المتآكل إذا علم أن في قطعه بقاء جسده، فهو– سبحانه– يكره الشيء ولا ينافي ذلك إرادته لأجل غيره.

ولقد خلق – سبحانه – إبليس وهو مادة للفساد في الأرض، وسبب لشقاوة كثير من عباد الله؛ لذلك يبغضه ربنا تبارك وتعالى؛ لأنه قطع الطريق بينه وبين كثير من عباده.

من آثار حكم الله في الاختلاف:

أ– أنه يظهر للعباد قدرة الله – تعالى– على خلق المتضادات المتقابلات، وذلك أول دليل على كمال قدرته وعزته، وملكه وسلطانه، فإنه خلق هذه المتضادات، وقابلها بعضها ببعض، وجعلها مُحَالَّ تصرفه وتدبيره، فَخُلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته.

ب– ظهور آثار أسمائه القهرية مثل: القهار، والمنتقم، والعدل، والشديد العقاب والخافض والمذل، فإن هذه الأسماء كمال لابد من وجود متعلقها.

جـ– ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه، وتجاوزه عن حقه، وعتقه لمن شاء من عبيده، فلولا خلق ما يكره من الأسباب المفضية إلى ظهور هذه الحكم والفوائد.

د– ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة، فإن الحكيم الخبير الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه، فلو قُدِّر عدم الأسباب المكروهة لتعطلت حِكم كثيرة، ولفاتت مصالح عديدة،

ولو عطلت تلك الأسباب لما فيها من الشر لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الأسباب.

هـ- حصول العبودية المتنوعة، فإن عبودية الجهاد، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أحب أنواع العبودية إليه-سبحانه- ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها، من الموالاة لله – سبحانه وتعالى- والمعاداة فيه(١).

ل- الابتلاء والامتحان، والقرآن الكريم يكرر هذه الحقيقة في عدة آيات لتعيها أذن واعية، فلا يعتقد أحد أنه يستطيع ما أوتي أن يغير سنة الاختلاف والتنوع، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾(٢) وقال تعالى:﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾(٣) وقال تعالى:﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (٤) والله – سبحانه وتعالى- قادر على أن يصبح الناس جميعًا مؤمنين، ولكنه ترك لهم الاختيار؛ لتجزى كل نفس بما تسعى.

إلى غير ذلك الحكم التي تترتب على الاختلاف والتعدد بين الناس، وهذا أمر يجب استبعاده وإدراكه حتى يطمئن الإنسان، وينعم المجتمع بالأمن والاستقرار، بعد القضاء على ثقافة الكراهية، والممارسات الخاطئة للفئات والجماعات الخارجة عن النظام.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، صـ٢٥٢- ٢٥٤، تحقيق/ جماعة من العلماء، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، دار السلام، مصر.

(٢) سورة يونس، الآية:٤٨.

(٣) سورة يونس، الآية:٩٩.

(٤) سورة هود، الآية:١١٨.

ومع وجود تعددية دينية، وضع الإسلام دستورًا منظمًا لعلاقة المسلمين بغيرهم؛ لضمان التعايش بين أبناء المجتمع الإنساني على اختلاف عقائدهم وطوائفهم

المطلب الثاني: فقه الاختلاف.

إن الإسلام بتعاليمه السمحة، أقام مجتمعًا متعاونًا منضبطًا، وبيئة خصبة ممهدة للتعايش السلمي مع الآخرين تحت مظلة آيات قرآنية، يقول الله تعالى:﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[١] فمعيار الإسلام في السلم والحرب ليس الإيمان والكفر، ولا الاتفاق والاختلاف، وإنما هو التعايش والتعاون مع الآخر.

وهذه الآية الكريمة، نص صريح على المودة وحسن المعاملة إلا في حالة العداوة،وكون القوم حربًا لا لأجل الخلاف الديني لذاته.

ومن منطلق الحرية الدينية التي كفلها الإسلام للإنسان، فقد أقر النبي–ﷺ– الحرية الدينية في أول دستور للمدينة، حينما اعترف لليهود بأنهم يشكلون المجتمع المدني مع المسلمين.

قال ابن إسحاق: "وكتب رسول اللَّه–ﷺ– كتابًا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبيّ –ﷺ– بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس"[٢].

---

(١) سورة الممتحنة، الآية:٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام،جـ٢صـ١٠٦، تحقيق/ طه عبد الرءوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحد.

وبالنسبة للنصارى، فقد قررت المواثيق النبوية في الدولة الإسلامية"أن نكف عنهم أذى المكروه حيث كانوا، وأين كانوا من البلاد، ولا يرفضوا، ولا يخذلوا، ولا يتركوا همـلًا؛ لأنهم أعطوا عهد الله على أنّ لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين، ما عليهم بالعهد الذي استوجبوا حق الذمام، والذبّ عن الحرمة، واستوجبوا أن يذبّ عنهم كل مكروه، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم، وفيما عليهم، فمن خالف ذلك وأكرههم على شيء من أمر دينهم، فقد خالف عهد الله وعصى ميثاق رسوله،وهو عند الله من الكاذبين"(١).

ولقد أدرك أصحاب رسول الله-ﷺ-هذا المبدأ وطبقوا هذا المعيار مع المخالفين حتى إن أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب" يعطي عهد الأمان لنصارى فلسطين"بسم اللَّه الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد اللَّه عمر أمير المؤمنين أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمهم، وبريئهم وسائر ملتهم، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا مللها، ولا من صلبهم ولا من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم" وعلى مثل هذا عاهد أهل إيلياء وغيرهم من أصحاب الملل والعقائد الأخرى(٢).

ولم ينقل عن أحد الصحابة أنه خالف هذا الدستور واعتدى على غير مسلم، سواء كان من أهل الكتاب، أم من غيرهم، وما كان الإسلام يبيح لأحد أن

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي،صـ١٨٨، ١٨٩، الطبعة السادسة سنة ١٤٠٧، دار النفائس – بيروت.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ابن جرير الطبري، جـ٣صـ٦٠٩،الطبعة الثانية سنة ١٣٨٧هـ،دار التراث – بيروت.

يفعل ذلك، ولم يكن أحد لينزل أذى أو ضررًا بأحبارهم أو قساوستهم ومراجعهم، وبيعهم وصوامعهم وكنائسهم.

والشواهد التاريخية التي لا حصر لها تؤكد ما كان عليه رعايا الدولة الإسلامية، من حرية وتعايش مع المسلمين.

إنه الإسلام الذي يحترم إنسانية الإنسان فيؤكد على الحرية الدينية تأكيدًا لا يقبل التأويل، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾[١] وقوله تعالى:﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾[٢] وقوله تعالى:﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[٣] فحرية العقيدة أصل هام في أحكام الإسلام، وحرية الإنسان في اختيار دينه أساس الاعتقاد، والآيات القرآنية محكمة باقية على مفهومها، والخلافات العقدية مردها إلى الله هو الذي سيفصل فيها يوم الحساب، قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[٤] يلاحظ في الآية الكريمة أن أصحاب العقائد من مسلمين ويهود ونصارى وصابئة ومجوس ومشركين، قد جاءوا جميعًا جنبًا إلى جنب، ثم وضحت الآية أن الفصل بينهم لا يملكه إلا الله وحده، وإن موعد هذا الفصل يوم القيامة، وليس في الحياة الدنيا، وعليه فإنه يحب أن يتعايش الجميع، وليس لأحد الحق نبذ عقائد الآخر أو شعائره.

وهذا ما أعلنته وثيقة المدينة، فالصحيفة تقرر مبدأ حرية الاعتقاد:" لليهود دينهم وللمسلمين دينهم".

---

(١) سورة البقرة، الآية:٢٥٦.

(٢) سورة الكهف، الآية:٢٩.

(٣) سورة يونس، الآية:٩٩.

(٤) سورة الحج، الآية:١٧.

وهذا دستور جديد في تاريخ البشرية، ذلكم الدستور الذي ينص على أن الحاكم الشرعي وهو رسول الله -ﷺ- ليس له الحق في إكراه أحدًا، فحق الاختيار فطرة وهبة إلهية لا يحق لأحد مصادرتها، قال تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[1] وقوله سبحانه:﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[2] فحرية الاعتقاد مكفولة بنصوص الوحي الشريف في دولة الإسلام.

فالمسلم ليس مكلفًا ولا من حقه أن يحاسب الكافر على كفره أو يعاقب الضالين على ضلالهم، قال الله تعالى:﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[3].

يقول النبي-ﷺ- لعمر بن حزم، عامله على اليمن:"ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يردّ عنها"[4] ووجد المسلمون بعد فتح خيبر نسخًا من التوراة، فأمر الرسول-ﷺ- بردها إلى اليهود[5] ويقول النبي-ﷺ- في معاهداته مع نصارى نجران:"ولنجران وحاشيتها، جوار الله وذمّة محمد النبي رسول الله على أموالهم، وأنفسهم، وملّتهم، وغائبهم، وشاهدهم وعشيرتهم، وبيعهم وكلّ ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغّير أسقف من أسقفيّته ولا راهب من

(١) سورة الغاشية، الآية:٢٢.

(٢) سورة يونس، الآية:٩٩.

(٣) سورة الشورى، الآية:١٥.

(٤) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، صـ٢٠٩.

(٥) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع،تقي الدين المقريزي،جـ١ صـ٣١٨، تحقيق/ محمد عبد الحميد النميسي، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية – بيروت.

رهبانيّته ولا كاهن من كهانته، وليس عليهم ربّيّة، ولا دم جاهلية، ولا يطأ أرضهم جيش"[١].

ومن قواعد فقه الاختلاف التي تتمثل أصلًا للتعاون فيما بيننا، من أجل الوصول إلى الأهداف المشتركة، مبدأ المساواة، وهو قيمة محورية في منظومة التدافع، مبني في الإسلام على اعتبارين، مرتبطًا مع ذلك بقيمة العدل.

أما الاعتباران:فإنهما يمثلان، أصلان راسخان، وقاعدتان ثابتتان، تقوم عليهما الحياة الاجتماعية.

أولهما: وحدة البشرية.

إن هذه الحقيقة كفيلة في تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع البشري، وتحقيق البناء التكاملي للجماعة، مستندة إلى تلك الركيزة في حماية المجتمع من الاضطراب، وفي تنظيم هذه القاعدة، وإقامتها على أساس ثابت، مع توفير الحماية لها من تأثيرات الصراع العارض في جو الحياة، يقول الله تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٢]ويقول سبحانه:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾[٣]ويقول سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [٤] ويقول سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، صـ١٧٦.

(٢) سورة النساء، الآية:١.

(٣) سورة الحجرات، الآية:١٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية:٩٨.

حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(١).

إن هذه الآيات تخاطب الناس بصفتهم؛ لتذكرهم بمصدرهم الواحد الذي صدروا عنه، وتردهم إلى خالقهم الذي أنشأهم من الأرض واستعمرهم فيها، ولو وعى الناس لهذا التذكير، وانتهوا إلى هذه الإشارة، وعملوا بما جاء فيها من توصيات، لحدثت تغييرات ضخمة في حياتهم، ولعاشوا الحضارة الحقيقية اللائقة ببني الإنسان، لتضاءلت في حسهم كل الفروق الطارئة، التي نشأت في حياتهم متأخرة، ففرقت بين أبناء النفس الواحدة، ومزقت وشائج الرحم الواحدة، وكلها ملابسات طارئة ما كان يجوز أن تطغى على مودة الرحم وحقها في الرعاية، وصلة النفس وحقها في المودة، وصلة الربوبية وحقها في التقوى.

واستقرار هذه الحقيقة كان كفيلا باستبعاد الصراع العنصري، الذي ذاقت منه البشرية ما ذاقت، وما تزال تتجرع منه حتى اللحظة الحاضرة، التي تفرق بين الألوان، وتفرق بين العناصر، وتقيم كيانها على أساس هذه التفرقة، وتذكر النسبة إلى الجنس والقوم، وتنسى النسبة إلى الإنسانية الواحدة والربوبية الواحدة.

فالنداء في الآيات الكريمات تنبيه على وحدة النوع والتكوين، فالناس جميعًا على اختلاف طبقاتهم وأوصافهم وأجناسهم قد تسللوا وانحدروا من أصل واحد، وهو آدم – عليه السلام– وهذا من أقوى الدواعي على التعاطف والتراحم والتعاون، وهو– أيضًا– من موجبات تقوى الله عز وجل.

ثانيًا: تكريم الإنسان وتتويجه خليفة في الأرض.

إن هذا التكريم بمثابة الدافع الحضاري الذي يُقوِّم القيم المبعثرة، ويشد من أزر الإرادات المؤثرة، ويدفع الطاقات الفاعلة إلى هدف محدد وهو: التقدم والرقي

(١) سورة الأعراف، الآية:١٨٩.

تحت مظلة الأمن والسلام، وفي القرآن الكريم تأكيد شديد على كرامة الإنسان، يقول الله تعالى:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[١] وهو لفظ عام يدل على أن الناس جميعًا متساوون في الآدمية، فكلهم أبناء آدم،وهم على اختلافهم مكرَّمون بما خصهم الله به من خصائص الإنسانية، قال النبيﷺ:" كُلُّكُمْ لِآدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ" فجميع البشر متساوين في الإنسانية، وبهذا يكون الإسلام سبق كل الدساتير البشرية في تقرير كرامة الإنسان، وارتفاع مكانته على جميع المخلوقات؛ ليضمن بذلك الطمأنينة والانطلاق الحيوي.

يقول الإمام الآلوسي في تفسيره لهذه الآية:"أي جعلناهم قاطبة – برهم وفاجرهم– ذوي كرم، أي شرف ومحاسن"[٢].

فالتكرم شامل للجنس كله بلا تفرقة بين جماعة وأخرى، والجميع ينظر إليهم بمنظور واحد هو الوحدة والكرامة الإنسانية.

ولهذه الكرامة الإنسانية جاءت النداءات في القرآن الكريم مصدرة بـ" يَا بَنِي آدَمَ"و"يَا أَيُّهَا النَّاسُ" تنويهًا بهذه الصفة العامة التي يأخذ منها أي إنسان بقدر ما يأخذ الآخرون سواء بسواء[٣] وليس أدل على كرامة الإنسان، وعلو مكانته وعظمته من قول النبي الكريمﷺ:"الْخَلْقُ عِيَالُ اللَّهِ، فَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَى عِيَالِهِ"[٤] وفي الإنجيل:"لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي.عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي

(١) سورة الإسراء، الآية:٧٠.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الإمام/ الآلوسي، جـ٨صـ١١٢، تحقيق/علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، الدكتور/ أحمد أحمد غلوش، صـ٥٨١، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م، مؤسسة الرسالة.

(٤) المعجم الأوسط، الطبراني، جـ٥صـ٣٥٦، طارق الحسيني، دار الحرمين، مصر.

*كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي*عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي*مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي*مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ*فَيُجِيبُهُ الأَبْرَارُ حِينَئِذٍ قَائِلِينَ: يَا رَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا فَأَطْعَمْنَاكَ، أَوْ عَطْشَانًا فَسَقَيْنَاكَ؟*وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيبًا فَآوَيْنَاكَ، أَوْ عُرْيَانًا فَكَسَوْنَاكَ؟*وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيضًا أَوْ مَحْبُوسًا فَأَتَيْنَا إِلَيْكَ؟* فَيُجِيبُ الْمَلِكُ وَيَقُول لَهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ"(١).

هذا التكريم قد أحاطه الله – تعالى– بسياج من التشريعات التي تحفظ كرامة الإنسان من الاعتداء عليها بالإرهاب والقتل، فقال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (٢) وفي الحديث الشريف:" اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا"(٣).

ومن تكريم الله للإنسان، ما زوده به، وأودعه فيه من استعدادات تمكنه من الاستخلاف في الأرض، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٤).

إن هذا التكريم، وتلك الاستخلاف، لا يتحقق ولا يتم إلا بتأمين المصالح لبني الإنسان، ودرء المفاسد عنهم، وذلك يكون بعدم الإفساد في الأرض؛ لتكوين نظام عام تحمى فيه الأنفس، وتقوم العلاقة فيه على أسس من التعارف الإنساني، وتكريم الإنسانية "وإن الإسلام ليقرر تلك الكرامة داخل الدولة الإسلامية، وفي كل العلاقات الإنسانية؛ ليكون التآخي العام أو يكون تنازع البقاء

(١) إنجيل متى، الإصحاح ٢٥الفقرات: ٣٥–٤٠.
(٢) سورة المائدة، الآية:٣٢.
(٣) صحيح مسلم، جـ٣ صـ٧٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

تحت ظل الفضيلة الحاكمة، لا تحت ظل الغابات والأحكام التي يحكم فيها الظفر والغاب وحدهما"[١].

إن هذه الكرامة لا يمكن ضمانها إلا في مجتمع كامل، تسوده القيم التي تستدعيها تلك الكرامة وتقتديها.

أما عن العدل وهو أحد مظاهر المساواة، فقد دعا إليه الإسلام مع العدو والولي، فقال تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٢].

فالعدل هو قوام المساواة، بل إن المساواة ركن من أركان العدالة، والآية الكريمة تدعو النفس على مباشرة العدل والقسط مع المخالفين، وما من عقيدة تضمن تحقيق العدل المطلق مع مخاليفها كما يضمنه الإسلام، الدين الإنساني الذي يتكفل نظامه للناس جميعًا – معتنقيه وغير معتنقيه– أن يتمتعوا في ظله بالعدل.

لذلك نستطيع أن نقول: إن الخلق جميعًا متساوون مساواة أساسية، بغض النظر عن الجنس والدين، وبمقتضى هذه المساواة لابد أن يقبل بعضنا بعضًا داخل الأسرة البشرية الواحدة، والاختلاف والتنوع ليس مبررًا في منع البعض من حقوقهم الأساسية في الحياة.

إن المساواة بين بني الإنسان، هي التي تكفل أن يكون التنوع إغناء وإثراء، لا إقصاء أو عداء أو تفرق وتشرذم.

---

(١) شريعة القرآن من دلائل إعجازه، الشيخ/محمد أبو زهرة،صـ٢٥،طبعة سنة١٣٨١هـ–١٩٦١م،دار العروبة– القاهرة.

(٢) سورة المائدة، الآية:٨.

ومما يقوي هذه المعاني، التسامح الذي أمرنا به ديننا الحنيف مع المسلم وغير المسلم، سعيًا لتأكيد القيم الإنسانية النبيلة؛ ولإيجاد المشترك الثقافي، والاندماج في الحضارة الإنسانية؛ لتعميق التواصل والتفاهم، ومعالجة الاختلافات بأسلوب راقي يحقق السلام وينشر الود والتراحم بين البشر، قال الله تعالى:﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾(١).

يقول ابن حزم في هذه الآية:" علم فيها – تعالى– جميع آداب الجدال كلها من الرفق والبيان والتزام الحق والرجوع إلى ما أوجبته الحجة القاطعة" ويقول في موضع آخر عقب إيراده لقول الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾(٢):" فأمر–عز وجل–كما ترى بإيجاب المناظرة في رفق، وبالإنصاف في الجدال، وترك التعسف والبذاء والاستطالة، إلا على من بدأ بشيء من ذلك فيعارض حينئذ بما ينبغي"(٣).

فالتسامح ضرورة لضبط الاختلافات بين الناس، وحسن إدارتها، ولن تكون مبالغًا إذا قلت: أن القيم الأخلاقية والسلوكية في الإسلام، تقتضي الالتزام بمضمون مبدأ التسامح؛ ليُرسِّخ الإسلام من خلاله مبادئ الإخاء الإنساني، والاعتراف بالآخر، واحترام الأفكار والمعتقدات مهما تنوعت.

ولكونه مطلب إنساني، فقد تضمنت العقائد الأخرى مبادئه ودعت إليها، ففي الإنجيل:"سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ *وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ

(١) سورة النحل، الآية:١٢٥.

(٢) سورة العنكبوت، الآية:٤٦.

(٣) الأحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الظاهري، جـ١صـ٢٣، ٢٥، تحقيق/ الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا*وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا*وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ"(١) وفيه أيضًا:"من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان"(٢).

وجاء في الإنجيل قول السيد المسيح:" وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ* بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ* أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ"(٣) فهذه صور من تلك القيمة في النصرانية.

جاء في الوصايا اليهودية:"كُلُّ مَا تَكْرَهُ أَنْ يَفْعَلَهُ غَيْرُكَ بِكَ فَإِيَّاكَ أَنْ تَفْعَلَهُ أَنْتَ بِغَيْرِكَ"(٤)وورد: "اغتسلوا وتطهروا وأزيلوا شر أفكاركم*وكفوا عن الإساءة تعلموا الإحسان والتمسوا الإنصاف"(٥).

فهذه نصوص تدل على أن التسامح قيمة حضارية، ومطلب وفطرة إنسانية، يشارك في الدعوة إليه كل العقائد، وهذا ما يدعو بحق إلى ضرورة انتهاجه وتدجينه، كقيمة يجب استمرارها وديمومتها ما دامت الحياة حتى لا تظهر سيادة الآراء المفروضة، وينتشر التعصب والاعتساف.

إن فقه الخلاف فيه حفظ للبلاد والعباد، ومن ثم تجنب الأمم والمجتمعات ويلات الحروب، وآفات الاختلاف، وفي وسعنا أن نركز على المنجزات، وتطوير الذات، بدلًا من صناعة الأزمات بأفكار جاهلية من تدبير شياطين الإنس.

(١) إنجيل متى، الإصحاح: ٥، الفقرة: ٣٩.
(٢) إحياء علوم الدين، جـ٣صـ١٨٤.
(٣) إنجيل متى، الإصحاح:٥، الفقرة:٤٤.
(٤) سفر طوبيا، الإصحاح:٤، الفقرة:١٦.
(٥) الكتاب المقدس، صـ١٣٥.

المطلب الثالث: ضمانات التعايش.

العيش في اللغة: هو الحياة[١] بل هو اسم لما هو سبب الحياة[٢] وتعايشوا: عاشوا على الألفة والمودة، ومنه التعايش السلمي[٣].

ويعرف التعايش على أنه:"اتفاق طرفين أو عدة أطراف على تنظيم وسائل العيش– أي الحياة– فيما بينهم وفق قاعدة يتم تحديدها، وتمهيد السبل المؤدية إليها"[٤].

ومن المعاني التي يحملها هذا المصطلح: الحد من الصراع أو ترويض الخلاف العقائدي بين قوتين أو العمل على احتواء ذلك الصراع بما يفتح مجالًا لقنوات الاتصال بين الطرفين المتصارعين.

ومن المعاني التي يتضمنها هذا المصطلح:ممارسة كل الفرق أو الجماعات ذات الاعتقادات أو الديانات المختلفة لكافة شعائرها الدينية بكل حرية مهما اختلفت معتقداتها[٥].

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، جـ٤صـ١٠١٢، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت؛ مختار الصحاح، الرازي، صـ٢٢٣، تحقيق/ يوسف الشيخ محمد، الطبعة الخامسة سنة١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م، المكتبة العصرية، بيروت.

(٢) الفروق اللغوية،أبو هلال العسكري،صـ١٠٢،تحقيق/محمد إبراهيم سليم،دار العلم والثقافة، مصر.

(٣) المعجم الوسيط، جـ٢صـ٦٣٩، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

(٤) الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين، الأستاذ/ عبدالعزيز التويجري، صـ٢، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، طبعة سنة ١٩٩٨م.

(٥) انظر التعايش السلمي في عصور الدول الإسلامية، الدكتور/محمد عبدالعزيز الغرياني، صـ٤، ٥، بحث مقدم للندوة الدولية "التعايش السلمي في الإسلام" كولومبو، سريلانكا، سنة ١٤٢٧هـ.

إن التعايش السلمي منهج من أهم مناهج الإسلام، وذلك يظهر واضحًا حين عرض القرآن الكريم قضايا المخالفين– خاصة العقدية – عرضها من غير لدد في الخصام،وتعنت في الخلاف.

فالتعايش له عمق في حياتنا، وصورة حية في تاريخنا الإسلامي، وتبرز حاجتنا إليه اليوم أشد مما كنا عليه من قبل؛ نظرًا للاضطراب والتوزع الذي نعيش فيه اليوم.

وهو قيمة ضرورية في توضيح العلاقات المشتركة، ووسيلة فعَّالة للتواصل الجاد، وسمو بالخصومة في ظل التعددية عن أن تنزلق إلى مزالق الانفعالية.

وليس ثمة أبلغ وأوفى بالقصد في هذا المضمار من قوله تعالى:﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1]وقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[2] وتلك ورقة من ورقات التعايش التي طرحها الوحي الشريف شرعة ومنهاجًا، وقاعدة عقائدية تدل على عمق مبدأ التعايش، ومدى اتساع صدور وأفئدة المسلمين للتعايش مع بني الإنسان.

ولكي يسود جو التعايش السلمي،والعيش المشترك حياتنا،ينبغي أن يكون هناك مبادئ تتشكل منها الأرض المشتركة تؤخذ في الاعتبار أو تفترض مقدمًا، وأهم هذه المبادئ ما يلي:

(١) سورة آل عمران، الآية،٦٤.

(٢) سورة الممتحنة، الآية:٨.

أولًا: التعاون والتفاهم والعمل المشترك في سبيل خدمة البشرية.

من المقاصد الأساسية التي أوجد الله من أجلها الإنسان، ومن القيم التي ينبغي الالتزام بها، التعاون الافرادي العام بكل أشكاله، وخاصة تعاون الجماعة الإنسانية، وهو عقد من عقود شريعة الإسلام.

ذلك أن العقود التي أمرنا الله–تعالى–بالوفاء بها في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[1] ثلاثة أضرب باعتبار المعقود والعاقد:

عقد بين الله – تعالى– وبين العبد،وعقد بين العبد ونفسه، وعقد بينه وبين غيره من البشر، وكل واحد باعتبار الموجب له ضربان:

الأول: ضرب أوجبه العقل وهو: ما ركز الله – تعالى– معرفته في الإنسان فيتوصل إليه، إما ببديهة العقل، وإما بأدنى نظر[2].

وحقيقة الأمر، فإن العقل يؤكد على أن التعاون من متطلبات الحياة، وكل ما كان من ضروريات الحياة فهو واجب العمل به.

أما كونه من ضروريات الحياة؛ لأن حركة الحياة كلها تم بناؤها على التعاون، وهذا أمر مشاهد ومعاين.

الثاني: ضرب أوجبه الله بالشرع وهو: ما دلنا عليه كتاب الله وسنة نبيه –ﷺ– وبالفعل فإن الشرع حثنا على التعاون مع الطرف المخالف، فقال تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ﴾[3] والبر من موجبات التعاون، يقول الله تعالى:﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ

(١) سورة المائدة، الآية:١.

(٢) انظر روح المعاني، جـ٣ صـ٢٢٣.

(٣) سورة الممتحنة، الآية:٨.

وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[١] والآية تنهي عن البغض والعداوة حتى ولو كان الآخر عدوًا مشركًا وقفَّت على النهي عن الاعتداء بالتعاون على البر، وهو التوسع في فعل الخير، واتقاء كل ما يضر الآخر في دينه أو دنياه فعلًا أو تركًا.

إن الأمر بالتعاون على البر والتقوى، من أركان الهداية الاجتماعية في القرآن؛ لأنه يوجب على الناس إيجابًا دينيًا أن يُعين بعضهم بعضًا على كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفرادًا وأقوامًا في دينهم ودنياهم، وكل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم، فجمع بذلك بين التحلية والتخلية، ولكنه قدم التحلية بالبر وأكد هذا الأمر بالنهي عن ضده، وهو التعاون على الإثم بالمعاصي وكل ما يعوق عن البر والخير، وعلى العدوان الذي يُغري الناس بعضهم ببعض، ويجعلهم أعداء متباغضين يتربص بعضهم الدوائر ببعض[٢].

وفائدة التعاون: تيسير العمل، وتوفير المصالح، وإظهار الاتحاد، ونبذ البغض والكراهية، وإن كل ذلك إلا لتعمير الأرض، ولن يتم ذلك إلا إذا تكاتفت الطاقات كلها من أجل هذه العمارة، وهي أمر ضروري للاستخلاف في الحياة.

وفي سبيل تحقيق هذا لا بد من ضبط النفس، وسماحة القلب، وربط موازين القيم والأخلاق بميزان الله في مجال التعاون والتعامل.

(١) سورة المائدة، الآية:٢.

(٢) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، جـ٦صـ١٠٨، طبعة سنة١٩٩٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ثانيًا: السلام المؤسس على العدل.

العدل مقصد أسمى، به تحى الأمم والشعوب، وبضده تهلك الأمم وتفنى، قال الله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(١).

لذلك اتجه الإسلام في أحكامه إلى إقامة مجتمع فاضل يسوده العدل والحق من ناحية تهذيب الفرد ليكون مصدرًا للخير، وتربى لديه روح الائتلاف حتى يتمكن من التعايش مع الآخر.

وفي سبيل تحقيق العدالة، أوجب الإسلام تكريم الإنسان لذات الإنسان حتى ولو كان عدوًا، فقال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٢).

ووثيقة المدينة تعلن عن أسس ومبادئ حكم الدولة، وتبين أن العدل باب عظيم لضمان التعايش في ظل التعددية الدينية.

إن هذه الصحيفة أسست للعدل كمبدأ وشورى للحكم،وكمبدأ للتعايش بين مواطني دولة الرسول-ﷺ-في المدينة.

يلاحظ من خلال استقراء الصحيفة أن قول النبيﷺ:"وأنّ على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم"حرص النبي-ﷺ-على أن ينشر العدل بيم مكونات المجتمع المتعدد العقائد، وأن العدالة حق للجميع" وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم" بغض

(١) سورة النمل، الآية:٥٢.

(٢) سورة المائدة، الآية:٨.

النظر عن عقيدته أو قبيلته"وأنّ الله جار لمن برّ واتّقى، ومحمد رسول اللهﷺ"[١] وهذا ما ختمت به الصحيفة التي نصت على أن عدل القضاء أساس عظيم، وضمان قوي للتعايش السلمي في المجتمع.

ومن دلائل ذلك من الصحيفة" وإن من اعتبط مؤمنًا، قتلا عن بيّنة، فإنه قود إلا أن يرضي أولياء المقتول"واعتبطه إذا قتله بلا جناية كانت منه، ولا جريرة توجب القتل، والمعنى: أن من قتل بغير جرم اقتص من القاتل والأمر يرجع إلى أولياء المقتول.

وتفرض الصحيفة أن يكون الجميع ضد الظالمين" وأنّ المؤمنين عليه كافّة ولا يحلّ لهم إلا قيام عليه"[٢] ولا يحل الدفاع عن المجرمين الآثمين، ففي ذلك منعًا للعدالة والحق.

فالعدل بين المواطنين في ظل التعددية الدينية، أمر الله ورسوله به، وذلك بآيات وأحاديث قطعية الدلالة، بالإضافة إلى وثيقة المدينة والعهد النبوي إلى نصارى نجران وغيرهم.

يقول ابن القيم رحمه الله:" فإن الله –سبحانه– أرسل رسله، وأنزل كتبه، ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به الأرض والسموات، وأن السياسة العادلة موافقة لما جاء به الشرع، بل هي جزء من أجزائه، فإذا ظهر أمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريق كان فثم شرع الله ودينه"[٣].

ولا سبيل إلى تحقيق العدالة إلا إذا سادت الفضيلة، وتحمل الإنسان مسؤوليته في دعم وتقوية صلته بأخيه الإنسان، ومن المؤمل عند ذالك أن تتغير الأحوال، ويعم البشرية سلام ينقذها مما تتخبط فيه.

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، صـ٦٢.

(٢) المرجع السابق، صـ٢٢٨.

(٣) الطرق الحكيمة، ابن قيم الجوزية، صـ١٣، مكتبة دار البيان.

والسلام يُعد عملًا من أعمال الإنسان، وعقيدته التي تهيئ له المناخ الذي يستطيع أن يتواءم فيه مع نفسه، ومع الله ومع الآخرين، فثمة سلام مع النفس يتمنى كل إنسان أن يحققه في داخله، ولن يتمكن من ذلك حتى يحل عليه سلام من الله، ويعيش في سلام مع الله، وما إذا تحقق السلام النفسي والسلام مع الله، إلا وكان الإنسان في سلام مع الآخرين، ومع العالم الذي يعيش به.

المبحث الثالث: وسائل التدافع، والفرق بينه وبين الصراع، وعوامل إخراجه عن إطاره الإنساني

المطلب الأول: وسائل التدافع.

أولًا: الجدل.

أ- الدلالة اللغوية والاصطلاحية.

الألفاظ الشرعية تتميز بدلاتها على الواقع إذا ما ربطت بمعناها الصحيح، وفهمت وطبقت بناءً عليه.

ولفظ الجدل قد يتحمل دلالات خاطئة تخرجها عن المفهوم الصحيح الذي يتبادر إلى أذهان المسلمين، كما تمثل في أصل دلالتها اللغوية معاني كثيرة.

وكلمة "الجدل" مصدر جدلت الحبل أجدله إذا فتلته،والحبل مجدول وجديل، وربما خص زمام البعير بهذا الاسم فسمى جديلًا، والجدل:شدة الفتل[١]ويقال: جادلت الرجل فجدلته جدلًا، إذا غلبته ورجل جدل، إذا كان ألوى في الخصام[٢] والجدل من الجدالة وهو وجه الأرض.

والجدل: اللدد في الخصومة، والقدرة عليها[٣] قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾[٤] وهو أيضًا: الصرع، فشبه المتجادلين بالمتصارعين لما يروم لكل منهما من كسر صاحبه[٥].

---

(١) لسان العرب، جـ١١صـ١٠٣؛ جمهرة اللغة،ابن دريد الأزدي، جـ ١صـ٤٤٨، تحقيق/رمزي منير بعلبكي، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت.

(٢) لسان العرب، جـ١١صـ١٠٥؛ تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، جـ١٠صـ٣٤٤، تحقيق/ محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدة، جـ٧ صـ٣٢٤، تحقيق/عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى سنة١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) سورة الكهف، الآية:٥٤.

(٥) الإبانة في اللغة العربية، سَلَمة الصُحاري، جـ٢صـ٣٦٢، تحقيق الدكتور/عبد الكريم خليفة وآخرين، الطبعة الأولى سنة١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط - سلطنة عمان.

نستطيع أن نقول: إن معنى الجدل في اللغة يدور حول أربعة معان:

الأول: الشدة، ومنه الأَجْدَل وهو الصقر؛ لشدة قوته من بين الجوارح، والجدالة الأرض لشدتها.

الثاني: الصَّرْع، يقال للصَّريع مُجَدَّل؛ لأنه يصرع على الجدالة وهي الأرض، ومنه حديث النبي -ﷺ- "إِنِّي عَبْدُ اللهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ"(١).

الثالث: الإحكام، تقول: جدل الشيء يجدله جدلًا، أحكم فتله.

الرابع: اللدد في الخصومة، فالرجل الجدل القوي في الخصام، وجادله أي خاصمه مجادلة وجدالًا.

الجدل في الاصطلاح:

عرفه الإمام الجويني بأنه هو:إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع والتنافي بالعبارة، أو ما يقوم مقامهما من الإشارة والدلالة(٢).

وقال القاضي أبو يعلى:"هو تردد الكلام بين اثنين إذا قصد كل واحد منهما إحكام قوله ليدفع به قول صاحبه"(٣).

وعرفه الإمام الجرجاني بأنه هو: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومه في الحقيقة(٤).

---

(١) المسند، جـ ٢٨صـ٣٧٩.

(٢) الكافية في الجدل، إمام الحرمين الجويني، صـ٤٨، تحقيق/ فوقية حسين محمود، طبعة سنة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، طبعة الحلبي.

(٣) العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى الفراء، جـ١صـ١٨٤،تحقيق الدكتور/أحمد بن علي بن سير المباركي، الطبعة الثانية سنة١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٤) التعريفات، صـ٧٤.

وجاء في المصباح المنير أن الجدل هو:" مقابلة الأدلة لظهور أرجحها"(١).

أما تعريف الجدل كعلم فهو:"العلم الذي يعرف به كيفية تقرير الحجج الشرعية"(٢).

فكل واحد من هؤلاء العلماء يعرف الجدل ويصوره على أنه تدافع وتقابل بالحجج الذي يطلب به الحق والصواب؛ لا المراء الذي يراد به الغلبة والظهور.

ويلاحظ أن العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي موجودة،إذ إن كل من الخصمين يُحكم قوله ويقوي حجته ليكشف ضعف خصمه، ويسقط كلامه فيصرعه.

ب- والجدل نوعان:

١- منه ما هو محمود حسن، غرضه الوصول إلى الحق وإثباته، وإبطال الباطل، وهذا مأمور به، وهو إما واجب وجوبًا عينيًا، أو واجب على الكفاية، قال الله تعالى:﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:"والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين فهذا واجب على الكفاية منهم. وأما ما وجب على أعيانهم فهذا يتنوع بتنوع قدرهم وحاجتهم ومعرفتهم".

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيوم، جـ١صـ١٠٢، المكتبة العلمية، بيروت.

(٢) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوني، جـ١صـ٥٥٣، تحقيق الدكتور/علي دحروج، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م، مكتبة لبنان، بيروت.

(٣) سورة العنكبوت، الآية:٤٦.

وقال رحمه الله أيضًا:"فأما المجادلة الشرعية كالتي ذكرها الله تعالى عن الأنبياء-عليهم السلام- وأمر بها في مثل قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَالَنَا﴾[1].

وقوله: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ﴾ [2] وقوله:﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ وقوله:﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[3] وأمثال ذلك فقد يكون واجبًا أو مستحبًا وما كان كذلك لم يكن مذموما في الشرع[4].

وقال الإمام ابن القيم عند حديثه عن فقه قصة وفد نجران ومجادلتهم للنبي ﷺ:

"وفيها: جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم بل استحباب ذلك بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم وإقامة الحجة عليهم ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة فليول ذلك إلى أهله، وليخل بين الْمَطِيِّ وحاديها"[5].

وقال الحافظ ابن حجر:"وفي قصة أهل نجران من الفوائد، جواز مجادلة أهل الكتاب وقد تجب إذا تعينت مصلحته"[6].

---

(١) سورة هود، الآية:٣٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٤) درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام الإمام/ ابن تيمية، جـ١ صـ٥١-٢٥، تحقيق الدكتور/ محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية سنة١٤١١هـ -١٩٩١م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

(٥)) زاد المعاد في هدي خير العباد، الإمام/ ابن القيم،جـ٣صـ٥٥٨ ،٥٥٩،الطبعة السابعة والعشرون سنة ١٤١٥هـ -١٩٩٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري،الحافظ/ابن حجر العسقلاني،جـ٨ صـ٩٥،طبعة سنة ١٣٧٩هـ، دار المعرفة، بيروت.

٢- ومنه ما هو مذموم قبيح، غرضه التعنت والانتصار للنفس دون الالتفات للحق والثواب، قال الله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[١] وقال تعالى:﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ﴾[٢]

قال الإمام ابن تيمية:"والمذموم شرعًا ما ذمه الله ورسوله، كالجدل بالباطل، والجدل بغير علم، والجدل في الحق بعدما تبين"[٣].

يقول الإمام الرازي:"الجدل المذموم على الجدل في تقرير الباطل،وطلب المال والجاه، والجدل الممدوح على الجدل في تقرير الحق، ودعوة الخلق إلى سبيل الله، والذَّبِّ عن دين الله تعالى"[٤].

ويقول:"أَنَّ الجدال نوعان:جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل،أما الجدال في تقرير الحق: فهو حرفة الأنبياء -ﷺ- قال تعالى لمحمدﷺ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ وقال حكايةً عن الكفار أنهم قالوا لنوح عليه السلام ﴿يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾وأما الجدال في تقرير الباطل فهو مذموم وهو المراد بهذه الآية حيث قال: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وقال:﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ وَقَالَ: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾

(١) سورة غافر، الآية:٤.

(٢) سورة غافر، الآية:٥.

(٣) درء تعارض العقل والنقل، جـ٧صـ١٥٦.

(٤) مفاتيح الغيب، الإمام/ الرازي، جـ٥صـ٣٢٠، الطبعة الثالثة سنة١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

ج- الفرق بين الجدل وغيره من الكلمات المتشابهة.

١- الفرق بين الجدال والمراء: قيل: هما بمعنى، غير أن المراء مذموم، لأنه مخاصمة في الحق بعد ظهوره وليس كذلك الجدال(١).

٢- الفرق بين الجدال والحجاج: الفرق بينهما أن المطلوب بالحجاج هو ظهور الحجة، والمطلوب بالجدال:الرجوع عن المذهب، فإن أصله من الجدل، وهو شدة القتل، ومنه الاجدل لشدة قوته من بين الجوارح، ويؤيده قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(٢) وقوله تعالى:﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾(٣) وذلك أن دأب الأنبياء -عليهم السلام- كان ردع القوم عن المذاهب الباطلة، وإدخالهم في دين الله ببذل القوة والاجتهاد في إيراد الأدلة والحجج.

هذا وقد يراد بالجدال مطلق المخاصمة، ومنه قوله تعالى:﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾(٤)وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ﴾(٥)(٦).

---

(١) التعريفات، الجرجاني، ٧٨، ٢٢١، الطبعة:الأولى سنة١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان؛ الكليات، أبو البقاء الكفوي، جـ٤ صـ٢٦٣، تحقيق/ عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) سورة هود، الآية:٣٢.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٤) سورة النساء، الآية:١٠٩.

(٥) سورة غافر، الآية:٣٥.

(٦) المفردات، صـ١٢٣، ١٥٥؛ التعريفات،صـ٧٨؛صـ٥٤؛كشاف اصطلاحات الفنون، جـ١صـ٣٤٥ جـ٢صـ٢٣؛الفروق اللغوية، صـ١٥٩.

٣- الفرق بين الجدل والمجادلة والجدال والمناظرة:

الجَدَل: مقابلة الحجة بالحجة،والمجادلة:المناظرة والمخاصمة، والمراد به في الحديث:"مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجِدَالَ"(١)الجدل على الباطل، وطلب المغالبة به، فأما الجدل لإظهار الحق فإن ذلك محمود، لقوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾(٢)(٣).

الجدال: عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها(٤). والمناظرة: أن يدفع الحجة بنظيرتها(٥).

د- فائدة الجدل وأهميته كوسيلة للتدافع:

١- كشف الحقائق، ومعرفتها على ما هي عليه.

٢- إقناع القاصر عن درك البرهان، وإلزام الخصم.

٣- تحقيق الحق، وإظهار الصواب.

٤- تمحيق الباطل، ودفع الشبه، وإزالة الأوهام والشكوك(٦).

٥- تحصيل ملكة الهدم والإبرام(٧) ليستطيع المرء دحض الباطل، وإحقاق الحق.

---

(١) السنة،ابن أبي عاصم الشيباني،جـ١صـ٤٧،تحقيق الشيخ/محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى سنة١٤٠٠هـ، المكتب الإسلامي- بيروت.

(٢) سورة النحل، الآية:١٢٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، جـ١ صـ٢٤٧، تحقيق/ طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، طبعة سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، المكتبة العلمية - بيروت؛ لسان العرب، جـ١١صـ١٠٥.

(٤) التعريفات، صـ٧٥.

(٥) الغريب في القرآن والحديث، أبو عبيد الهروي، جـ١صـ٣٢٢، تحقيق/أحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية.

(٦) الكافية في الجدل، صـ٢٣.

(٧) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، طاش كبرى زادة جـ١صـ٢٨١،الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

أما إذا لم يكن الهدف من الجدال الوصول للحق بأن جادل المرء من أجل دحض الحق، وإظهار الباطل، أو لأجل الغلبة والتفوق، فذلك من الجدال المذموم الذي نهى عنه الإسلام.

فالذي نعنيه هو جدال لا يرق إلى الخصومة، بل هو نوع وصورة من صور الحوار حتى ولو كان مع الظالمين، فليكن بالتي هي أحسن.

ثانيًا: الحوار.

أ- الدلالة اللغوية والاصطلاحية.

الحَوْرُ: مصدر حار يحور حورًا إذا رجع، وكل شيء تغير من حال إلى حال، كقول لبيد:

وما المرءُ إلاّ كالشّهابِ وضَوْئِهِ ... يَحُورُ رماداً بعد إذ هو ساطع[١]

والمُحاورةُ: مراجعة الكلام[٢]وحاورت فلانا محاورة وحوارًا وحويرًا إذا كلمك فأجبته،والحور: الرجوع من صلاح إلَى فساد أَو من زيادة إلَى نقصان، ومنه الحديث:"أعوذ بك من الحور بعد الكور"[٣] يريد النقصان بعد الزيادة[٤].

وقال ابن منظور:"حور: الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، حار إلى الشيء وعنه حورًا ومحارًا ومَحارَةً وحُؤُورًا:رجع عنه وإليه، والمُحاوَرَة: الْمُجَاوَبَةُ. والتَّحاوُرُ: التَّجَاوُبُ، والمُحاوَرَةُ: مراجعةُ المنطقِ والكلامِ في المخاطبةِ"[٥].

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري،صـ٥٦،تحقيق/حمدو طمّاس،الطبعة الأولى سنة١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م،دار المعرفة.

(٢) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، جـ٣صـ٢٨٧، تحقيق الدكتور/مهدي المخزومي،والدكتور/ إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، جـ٨صـ٩٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) جمهرة اللغة، جـ١صـ٢٢٥

(٥) لسان العرب، جـ٤صـ٢١٨.

فالحوار في اللغة ما هو إلا تجاوب وتداول الكلام بين طرفين ومراجعة كل منهما فيه، أكد هذا المعنى المواضع التي ورد فيها هذا المصطلح، وذلك في ثلاث آيات من القرآن الكريم:

قال الله تعالى:﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[١] وقال تعالى:﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾[٢] قيل في تفسير هذه الآية: أي يراجعه في الكلام ويجاوبه، والمحاورة المجاوبة، والتحاور: التجاوب[٣] وقال تعالى:﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[٤] والمعنى: والله – سبحانه وتعالى– يسمع تراجعكما في الكلام.

كما جاءت هذه المعاني – أيضًا– في أقوال النبي –ﷺ– من ذلك أنه –ﷺ– قال:" وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ"[٥] والمعنى: رجع عليه الكفر[٦] ومنه "أن النبي –ﷺ– كان يستعيذ من الحَوْر بعد الكوْر"[٧] ومعناه أن النبي –ﷺ– كان يستعيذ من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة[١].

---

(١) سورة الكهف، الآية:٣٤.

(٢) سورة الكهف، الآية:٣٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم، جـ١٠صـ٤٠٣.

(٤) سورة المجادلة، الآية:١.

(٥) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، جـ١صـ٧٩.

(٦) شرح صحيح مسلم،الإمام/النووي،جـ١صـ٣٢٦،طبعة سنة١٩٩٥م،طبعة دار أبي حيان، مصر.

(٧) صحيح مسلم، كتاب: الحج، باب: ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، جـ٢صـ٩٧٨.
=

الحوار في الاصطلاح:

هو محادثة بين شخصين أو فريقين حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيدًا عن الخصومة أو التعصب، بطريقة تعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر(٢).

ب- أهمية الحوار كوسيلة للتدافع.

الحوار وسيلة مثلى للإقناع، ومطلبًا ملحًا؛ نظرًا لوجود هذه التعددية الدينية والثقافية التي يتمتع فيها الجميع.

وفي ظل هذه التعددية، فإن الإسلام يطلب من الجميع الابتعاد عن كل ما يجلب الشقاق والفراق، والنظر دائمًا إلى التدافع والتنافس المثمرين في مجال الخيرات، قال الله تعالى:﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾(٣).

وبعدما أصبحت المعمورة اليوم بمثابة قرية صغيرة، فإن العالم يواجهه مهمة إقامة نظام قوي لسلام عالمي عن طريق حوار ديني حضاري تبرز من خلاله القواسم المشتركة.

=

جـ٢صـ٩٧٨.

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢٧٣.

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي، بسام داود عجك، صـ٢٠، طبعة سنة ١٤١٨هـ، دار قتيبة.

(٣) سورة المائدة، الآية:٤٨.

هذا الحوار بضوابطه وآدابه، كفيل بأن يعيد للبشرية الأمل في البقاء، ويخلق جوًا من الثقة، ولما لا وهو:

١- صورة من صور الشورى والتناصح، وفرصة للفهم المتبادل، والتعاون المشترك، بالإضافة إلى أنه يؤسس لأرضية مشتركة تجعل إمكانية التلاقي ممكنة.

٢- يحقق الغايات، وينمي الثقافات بشكل راق ومهذب.

٣- وسيلة للبناء، وتقويم الآراء، وتمحيص الحجج، وتدارك الأخطاء، وتجنب الذلل، إذا ما تم وفق منهج عقلي تربوي واعي.

٤- يبرز الخلفية الصحيحة لكل حضارة، وعليه يمكن القضاء على المفاهيم الخاطئة، والأحكام المسبقة، والتخلص من الصراعات بين الأمم، وإقامة وتحقيق موازين العدل.

وإذا كان ينبغي أن يكون هناك حوار،وأن يكتب له الاستمرارية،فإنه يجب أن تتحقق فيه الضوابط والآداب التالية.

ج- آداب وضوابط الحوار.

من أهم هذه الآداب:احترام الآخر،والتلطف في خطابه،وحسن إرشاده،والتخلق بآداب الخلاف.

فإذا كان التراث الإنساني أخذ وعطاء، فلاشك أنه لا توجد أمة وحضارة إلا وقد أعطت كما أخذت، وإن هذا لفي الحقيقة عامل النمو والتطور لدى الحضارات المختلفة.

وهذه العملية تستدعي احترام متبادل يتم في ظله تبادل الأفكار والرؤى من خلال التفاعل الحضاري، والمشاركة الفعالة.

من أجل تحقيق هذا الهدف ينبغي التمسك بمجموعة من القيم والأخلاق منها: التزام الطيب من القول مع حسن الاستماع والإصغاء للآخرين، وإعطاؤهم الفرصة للتعبير عن آرائهم"ويتقي الله أن يقصد بنظره المباهاة وطلب الجاه،

والتكسب، والمماراة، والمحك، والرياء، ولا يكون قصده الظفر بالخصم والسرور بالغلبة والقهر"[١].

يقول الله تعالى:﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّـتِى هِىَ أَحۡسَـنُۚ﴾[٢] فالله – سبحانه وتعالى– يخبر رسوله –ﷺ– أن يرشد عباد الله المؤمنين، أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاورتهم الكلام الأحسن، والكلمة الطيبة، فإنه إذ لم يفعلوا ذلك، نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفِعَال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة، فإن الشيطان عدو لآدم وذريته[٣].

وقال الله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[٤].

ومن التلطف في الخطاب، الاستماع والإنصات لآراء الطرف الآخر، وتلك سنة من سنن المرسلين في حوارهم مع أقوامهم، ورسولنا –ﷺ– استمع وأصغى لكفار قريش وهم يحاورنه في أمر دينه، حتى فرغ زعيمهم "عتبة بن الربيعة"ورسول الله يستمع وينصت، وبعدها يبدأ النبي–ﷺ– حديثه معهم، فكان من نتائج هذا الحوار الهادي المنضبط أن ذهب عتبه وهو يمدح القرآن ومن أنزل عليه، حتى إنهم ليقولون له "لقد سحرك محمد".

ومهما تكن نتيجة الحوار فالمسلم مكلف بالاستماع تطييبًا لخاطر من يتكلم وذلك أدعى إلى جلبه إلى جانب الحق، وذلك ما فعله رسول الله –ﷺ– في هذا الموقف، وفي كل موقف حوار له مع الكفار والمخالفين.

---

(١) الكافية في الجدل، صـ٤٧، ١٢٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم،الإمام/ابن كثير، جـ٥صـ٨٠، تحقيق/ محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) سورة الزمر، الآية: ١٨.

وإذا كان حتى الكافر يمنح تلك الفرصة في الاستماع ليعرض أفكاره وآراءه، فإن ذلك الحق نفسه لا بد أن يعطى للمخالفين ضمن إطار التصور الإسلامي العام، أو للمخالفين من أصحاب الثقافات والحضارات والأديان الكتابية، على وجه الخصوص، فالحوار آلية مهمة لتحقيق أداء واجب الدعوة بالتبليغ لرسالة الدين الحنيف، ولذا أورد القرآن الكريم نماذج عديدة منه، ودعا إلى استخدامه مشروطًا بآداب الحوار(١).

ومن آداب الخلاف، فض الاشتباكات الفكرية دون التعرض السلبي للأشخاص بتشويه أو تجهيل(٢).

وهذا هدف كل من يبتغي للآخر الإرشاد وليس الإفحام والإصغار، وهو منهج قرآني أصيل، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(٣).

ففي الآية الكريمة أضاف –ﷺ– الكلام الموهم للشك إلى نفسه ترفيقًا للخطاب، ورفقًا بالمخاطب(٤) وفي هذا الأسلوب من آداب الخطاب في الحجاج والمناظرة ما لا يخفى، فهو لم يؤكد أن خصمه في ضلال، كما لم ينسبه إلى نفسه، بل ردده بينهما وهو يعلم أنه لأيهما(٥) فليس هذا على طريق الشك، ولكن

(١) الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه، أحمد بن سيف الدين تركستاني، صـ٥٧، وزارة الأوقاف السعودية.

(٢) مجلة البيان، جـ٨٧صـ٤٦.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٢٤.

(٤) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، جـ٣صـ٢٢، تحقيق/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٥) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، جـ٢٠صـ٥٨، الطبعة الأولى سنة ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م، طبعة الحلبي، مصر.

على جهة الإنصاف في الحجاج، فأي خطاب هذا الذي يسانده المنطق، لا الأكاذيب والترهات؟! لا شك أنها لغة الواثق ووثوق المطمئن.

ومن الآداب التي ينبغي أن تتوفر فيمن يتصدى للحوار"العلم" به ينجح الحوار فتتحقق غايته ويتضح هدفه.

يقول الإمام ابن تيمية:"وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة، إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضل، كما ينهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل قويًا من الكفار، فإن ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة"(١).

ومن الآداب الأساسية في الحوار:" الموضوعية في المناقشة" فالمحاور في طلبه للحق ينبغي أن يكون كناشد ضالة، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معينًا لا خصمًا، ويشكره إذا عرفه الخطأ، وأظهر له الحق(٢).

وظهور الحق على لسان الآخر من دلائل العدل والإنصاف، كما قال الإمام الشافعي:"ما كلمت أحدًا قط إلا ولم أبال بَيَّنَ الله الحق على لساني أو لسانه"(٣).

فهذه الآداب،وتلك الوصايا،تجعل الحوار مثمرًا،وفي حال تحققها تكون كمؤشر إيجابي نحو رؤية واضحة للتعايش.

(١) درء تعارض العقل والنقل، جـ٧صـ ١٧٣، ١٧٤.

(٢) إحياء علوم الدين، الإمام/ أبو حامد الغزالي، جـ١صـ٤٤، دار المعرفة، بيروت.

(٣) الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، جـ٢صـ٤٩، تحقيق/عادل الغرازي، الطبعة الثانية سنة١٤٢١هـ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

ثالثًا: الحجة والبرهان.

أ- الدلالة اللغوية والاصطلاحية.

والحُجَّة:البرهان[١] وقد برهن عليه، أي أقام الحجة، وهي: ما دُوفِعَ به الخصم[٢] وقال الأزهري: الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وجمعها حُجَج[٣] .

وهو رجل مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ، والتَّحاجُّ: التخاصم؛ وجمع الحُجَّةِ:حجج وحجاج، وحاجه محاجة وحجاجًا: نازعه الحُجَّةَ، وحجه يحجه حَجًّا: غلبه على حُجَّتِه، وفي الحديث:"فَحَجَّ آدم موسى"[٤] أي: غلبه بالحجة. واحتج بالشيء: اتخذه حجة.

قال الأزهري:إنما سميت حجة لأنها تحج أي تقتصد لأن القصد لها وإليها،وكذلك مَحَجَّة الطريق هي المقصد والمسلك، وفي حديث الدجال:"إِن يَخْرُجْ وأَنا فِيكُمْ فأَنا حَجِيجُه أَي مُحاجُّهُ ومُغالِبُه بإِظهار الحُجَّة عَلَيْهِ".

والحُجَّةُ: الدليل والبرهان، يقال: حاججته فأنا محاج وحجيج، فعيل بمعنى فاعل، ومنه حديث معاوية: "فَجَعَلْتُ أَحُجُّ خَصْمِي" أي أغلبه بالحُجَّة[٥].

والحُجّة والبرهان بمعنى: السُّلْطَانُ[٦] ولذلك قيل للأمراء: سلاطين؛ لأنهم الذين تقام بهم الحجج والحقوق، يقول الله تعالى:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا

(١) مفتاح العلوم، الخوارزمي،صـ١٧٤، تحقيق/ إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي؛ مختار الصحاح، صـ٦٦.

(٢) لسان العرب، جـ٢صـ٢٢٩.

(٣) تهذيب اللغة، جـ٣صـ٢٥١.

(٤) صحيح البخاري،كتاب: القدر، باب: تحاج آدم وموسى عند الله،جـ٨صـ١٢٦، وكتاب: التوحيد، باب: بَابُ قَوْلِهِ: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}"سورة النساء،الآية: ١٦٤" جـ٩صـ١٤٨.

(٥) لسان العرب، جـ ٢صـ٢٢٨.

(٦) مختار الصحاح، صـ١٥٢؛ لسان العرب، جـ٧صـ٣٢١.

وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾[١] أَي: وحجة مبينة، وقال تعالى:﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾[٢] معناه: ذهب عني حجتي، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ﴾[٣] أَي: ما كان له عليهم من حجة[٤] فالسلطان هو: الحجة والبرهان[٥] .

والحجة: الفرقان[٦] قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[٧] والحجة: البينة[٨] قال الله تعالى:﴿ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾[٩] والبُرْهان:بيان الحجة وإيضاحها[١٠] قال الله تعالى:﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾[١١].

وتأثير الحجة في النفس كتأثير البرهان فيها وإنما تنفصل الْحجَّة من البرهان لأن الْحجَّة مشتقة من معنى الاستقامة في القصد حج يحج إذا استقام في قصده والبرهان لا يعرف له اشتقاق وينبغي أَن يكون لغة مفردة[١٢] .

---

(١) سورة هود، الآية:٩٦.

(٢) سورة الحاقة، الآية:٢٩.

(٣) سورة سبأ، الآية:٢١.

(٤) تهذيب اللغة، جـ١٢صـ٢٣٥.

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، جـ٣صـ١١٣٣.

(٦) المحكم والمحيط الأعظم، جـ ٦صـ٣٨٥.

(٧) سورة الأنفال، الآية:٢٩.

(٨) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان اليمني،جـ١صـ٦٨٤، تحقيق الدكتور/حسين العمري وآخرين، الطبعة الأولى سنة١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م، دار الفكر، بيروت – لبنان.

(٩) سورة فاطر، الآية:٤٠.

(١٠) العين، جـ٤صـ٤٩.

(١١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٤.

(١٢) الفروق اللغوية، صـ٧٠.

الحجة والبرهان في الاصطلاح:

عرفها الجرجاني فقال الحُجَّة هي:ما دل به على صحة الدعوى، وقيل:الحجة والدليل واحد(١).

وقال السيوطي الحُجَّةُ هي: الموصلة إِلَى التَّصْدِيق(٢) وقال الحرالي: الحجة كلام ينشأ عن مقدمات يقينية مركبة تركيبًا صحيحًا(٣)وهي الاستقامة في النظر والمضي فيه على سنن مستقيم(٤)فهي مأخوذة من المحجة وهي الطريق المستقيم.

وفي اصطلاح المنطقيين الحجة هي: الموصل إلى التصديق وإنما سمي بها؛ لأن من تمسك بِه استدلالًا على مطلوبه غلب الخصم فهو سبب الغلبة فتسميته بها من قبيل تسمية السَّبَب باسم الْمُسَبّب وَهِي عِنْدهم ثَلَاثَة: (قِيَاس) و (استقراء) و (تَمْثِيل).

وهي نوعان:

الحجة القطعية: هي الحجة التي تفيد اليقين ولا يقصد بها إلا اليقين بالمطلوب.

الحجة الإقناعية:هي الحجة التي تفيد الظن لا اليقين ولا يقصد بها إلا الظن بالمطلوب(٥).

---

(١) التعريفات، صـ٨٢.

(٢) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين السيوطي، صـ١١٨، تحقيق أ. د/ محمد إبراهيم عبادة، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤ م، مكتبة الآداب ، القاهرة – مصر.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤف المناوي، صـ١٣٦، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ–١٩٩٠م، عالم الكتب، مصر.

(٤) الفروق اللغوية، صـ٧٠.

(٥) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عبدالنبي نكري، جـ٢صـ ١١، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، لبنان – بيروت.

وهناك الحجة الإلزامية: هي المركّبة من المقدمات المسلّمة عند الخصم المقصود منها إلزام الخصم وإسكاته[١] والحجة القطعية الإلزامية، هي المسماة بالبرهان، الحُجَّة البيضاء: القوية الناصعة. الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ: هي التي إذا بلغت كل شبهة أزالتها، وكل غافل نائم نبهته وأيقظته.

وقيل: الحجة البالغة:التامة القاهرة، الظاهرة على كل شيء، الغالبة عليه، لم تبلغ شيئًا إلا قهرته وغلبته[٢] .

والبرهان هو :الحجة القاطعة المفيدة للعلم،قال تعالى:﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾[٣].

ويعرفه العلماء بأنه: علم قاطع الدلالة غالب القوة بما تشعر به.

وفي عرف الأصوليين البرهان: ما فصل الحق عن الباطل، وميز الصحيح عن الفاسد بالبيان الذي فيه[٤] وعند المنطقيين:هو القياس المؤلف من اليقينيات سواء كانت بديهيات أَو نظريات منتهية إلى البديهيات[٥] وعند الرياضيين: ما يثبت قضية من مقدمات مسلم بها[٦]وهو أيضًا: بيان يشهد بمعنى بمعنى آخر حق في نفسه وشهادته وهو أيضًا: الدليل والحُجّة الْفَاصِلَةُ الْبَيِّنَةُ[٧].

وقيل: هو ما يقصد به قطع حجة الخصم، وهو تعبير فارسي معرب وأصله بران أي اقطع ذلك، ومنه البرهة وهوي القطعة من الدلالة[٨].

---

(١) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، جـ١صـ٦٢٢.

(٢) تأويلات أهل السنة، جـ٤صـ٣٠٧.

(٣) سورة القصص، الآية:٣٢.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، صـ٧٤.

(٥) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، جـ١صـ ١٦٠.

(٦) المعجم الوسيط، جـ١صـ٥٣.

(٧) لسان العرب، جـ١٣صـ٥١.

(٨) الفروق اللغوية، صـ٩٧.

ب- أهمية تقديم الحجة والبرهان في التدافع.

الدعاء إلى الحق والتدافع بالأدلة البرهانية، والحجج القطعية، من أجل المراتب وأرفعها، وأقطعها للصراع، وأنفعها، وعليها المدار في التعايش والتعاون.

هي مقصد المحتج بها، الذي يريد تصحيح دعواه، وبهذا تكون نهاية الشيء المختلف فيه، والمتنازع حوله.

إذ بها قوام الدعوى وصلاحها؛ لأنها تؤيدها فتقوى وتغلب، وبدونها تكون دعوى فارغة، إذ إنها الدليل الذي يقطع اليقين.

حينما يكون دستور التدافع الحجة والبرهان، تتحكم بالنفس المعايير الثابتة، والمقاييس المعلومة، والموازين المضبوطة.

إن عروق التطرف، ومهددات الأمن الفكري، لا تقتلع إلا بمنجل الحوار البناء، القائم على الحجة والبرهان، فمن وفق لتأمل البرهان، وأقنعته الحجة والبيان، وصل إلى بر الأمن والأمان، والطمأنينة والاستقرار، ومن أقام على معتاد الجدل والمراء، بلا حجة ولا برهان، لم يسترح قلبه من كد التردد، وظلمة التطرف، وجولان الصراع.

في نهاية الحديث عن وسائل التدافع، نستطيع أن نقول: إن هذه الوسائل أساليب لتصحيح كل وضع يتنازع حوله، وطرق لإزالة اللبس، نحو رؤية واضحة للتعايش.

المطلب الثاني: الفرق بين التدافع والصراع.

عند التفتيش عن معنى الصراع في المعارف والمعاجم، نجد أن الصاد والراء والعين، أصل واحد يدل على سقوط شيء إلى الأرض عن مراس اثنين، ثم يحمل على ذلك، ويشتق منه[١] وتصارعت الآراء، وتصارعت الأفكار: تعارضت.

ومن معانيه كما جاء في معجم اللغة العربية: خصومة، منافسة، نزاع، مشادّة.

وهي أيضًا: تضارب الأهداف مما يؤدي إلى الخلاف أو التصارع بين قوتين أو جماعتين[٢] فهو عبارة عن خلاف، وفصام، وشقاق، ينشئ عن تعارض المصالح والأهداف، واختلاف وجهات النظر، أو تباين الثقافات والخلفيات الفكرية بين الأفراد.

وعند الفلاسفة هو: نزاع بين شخصين يحاول كل منهما أن يتغلّب على الآخر بقوته المادية.

ويطلق الصراع مجازا على النزاع بين قوتين معنويتين تحاول كل منهما أن تحل محل الأخرى، كالصراع بين رغبتين، أو نزعتين أو مبدأين، أو وسيلتين، أو هدفين، أو الصراع بين القوانين[٣].

وعليه فإن الصراع،ظاهرة سلبية،يجب تجنبها،والعمل على القضاء عليها حال وجودها؛ إذ إنه أسلوب تخريبي لا يؤيده عقل ولا منطق، وقد تتفاقم وتصل إلى مرحلة الأزمة، التي يتبناها أشخاص مدفوعين لأغراض وأهداف عدائية

(١) مقاييس اللغة، جـ٣صـ٣٤٢.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصر، جـ٢صـ١٢٨٩.

(٣) المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا، جـ٢صـ٧٢٥،طبعة سنة١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، الشركة العالمية للكتاب، بيروت- لبنان.

يصل بهم الأمر في بعض الأحيان إلى استخدام العنف والإرهاب، تحت وطأت أصحاب المصالح.

أما التدافع، فهو سنة من سنن الله في الاجتماع البشري؛ لتحقيق مصالح المجتمع الإنساني على أساس من العدل الذي به تزدهر الحضارات.

ألم تر أن النهار لو سكن عن دفع الليل لما طلع نهار أبدًا، ولعشنا في ليل سرمد وظلام دامس إلى يوم القيامة، ولكانت النتيجة هي نفسها نتيجة انعدام التدافع التي قررها ربنا تبارك وتعالى في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾(١).

ومما يفرق بين الصراع والتدافع، أن العوامل النفسية من أهم ظهور حالة الصراع، وتنشأ هذه الحالة عندما يقع الفرد تحت وطأة دوافع أو نزعات متعارضة، فينعكس هذا على السلوك والإدراك، فيعجز الإنسان عن تفسير بيئته، وتسيطر عليه الأفكار السوداء، وعدم قابلية الرأي الآخر.

نجد هذه الحالة وقد صورها ربنا– تبارك وتعالى– عندما تحدث عن الوليد بن المغيرة، الذي بدت على وجهه آثار الصراع النفسي العميق ما بين فطرته اللغوية التي تأبى عليه أن يقول في القرآن غير ما قال، وما بين رغبته في إرضاء قومه التي تلح عليه أن يقول في القرآن ما يرضيهم ويبقي على مودتهم له، فلم يستطع إلا أن يقول كما جاء في القرآن الكريم﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾(٢)وآثر أن يناقض نفسه على أن يغضب قومه(٣) قومه(٣) ألم يقل حين سمع القرآن:"والله لقد سمعت من محمد آنفا كلامًا، ما هو

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

(٢) سورة المدثر، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٣) المدخل لدراسة القرآن،الشيخ/محمد أبو شهبة،صـ٢٣٠،الطبعة الثانية سنة ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م،مكتبه السنة،مصر.

بالشعر، ولا بالسحر، ولا هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى"؟.

كما ينشب الصراع عند ظهور النزعة العنصرية، وتثار النعرة العصبية، مما يعوق التواصل الحضاري بين الأمم، ويمزق الكيان الاجتماعي، فتثار البغضاء بين الشعوب، مما يهدد بنقض النسيج الإنساني.

أما التدافع، فسببه قد يكون الحاجات والتفاعلات الاجتماعية؛ لدفع الفساد عن الأرض، وتنمية الحياة وتطويرها من خلال تبادل الأفكار والخبرات في مجتمع متكافل متعاون يدافع عن وجوده وكيانه فيسعد بالاستقرار والثبات بعيدًا عن الاضطرابات والتخبطات التي تتعرض لها المجتمعات المتنافرة المتصارعة.

وهنا تتكشف على مد البصر ساحة الحياة المترامية الأطراف تموج بالناس، في تدافع وتسابق وزحام إلى الغايات، ومن ورائها جميعا تلك اليد الحكيمة المدبرة تمسك بالخيوط جميعا، وتقود الموكب المتزاحم المتصارع المتسابق، إلى الخير والصلاح والنماء، في نهاية المطاف.

إن التدافع يقوم على أساس مبادئ وغايات لا مكان معها لعنصرية، أو عصبية، أو غيرهما من دعوات التفرق والتشرزم؛ لأنه – أي التدافع– يبقي على المعنى المتزن، فهو دعوة للتعارف والتآلف بين الشعوب المختلفة، وليس دعوة للانعزال والتعصب الذي يفرق الأمم والجماعات.

هذه المعاني الطيبة لاحظناها فيما مر من حديث حول الجدل والحوار، وهي الوسائل والأدوات التي تصاحب عملية التدافع.

أما وسائل الصراع وأدواته، فإنه يقم على العنف المادي والطبقي والسياسي الذي تنقطع منه الأنفاس، واستعمال القوة التي تهلك بني الإنسان، وليس ببعيد أن يطل المزاج الثوري برأسه فتحل الفوضى، ويتحول المجتمع إلى أرض خصبة، لانتشار التطرف والإرهاب.

فالذي يقنن عملية التدافع، رسوخ القيم الإيجابية، والتمسك بمبدأ التسامح، وقصد الإصلاح، وعند غياب ذلك تطل الفتنة برأسها، ويظهر الصراع يصاحبه غياب ميزان العدل، واتساع مساحة الظلم والإفساد، وضعف الرصيد الأخلاقي بين أفراد المجتمع، ولهذا الصراع عوامل تساعد على اندلاعه واضطرامه، لعل أبرزها ما يلي:

المطلب الثالث: العوامل التي تخرج التدافع عن إطاره الإنساني.

لا يستطيع المرء أن ينكر أن هناك تباين بين الناس أفرادًا وجماعات، وأن هذا التباين أمر طبيعي، وتلك الاختلافات شيء فطري، وهو في الحقيقة وسيلة للتكامل، ومنهج للتعايش، وحافز على إصلاح الأرض وإنمائها، ولكن هذا الاختلاف يحتاج إلى تنظيم، وتنسيق، وتوجيه إلى طريق الصلاح، حتى يؤدي دوره في الحياة وفق مراد الله سبحانه وتعالى.

المشكلة أن هناك من يتعمد إخراج هذا الاختلاف من دائرة التدافع بالتي هي أحسن، إلى دائرة الصراع، حتى إنه ليجنح بالناس إلى التنازع.

والنزاع آفة من الآفات التي تخرج التدافع عن إطاره الإنساني، إنه يصيب المجتمع بسبب الهوى المطاع الذي يوجه الآراء والأفكار، ويجعل كل صاحب وجهة يصر عليها رغم ظهور وجه الحق فيها.

لذا ينهى الإسلام عن التنازع، ويؤكد على أنه يؤدي إلى الفشل، قال الله تعالى:﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾[١] والمعنى: لا تختلفوا فتضعفوا، فإن النزاع مدعاة الاضطراب والخبال، وموجب وموجب لضياع الدول، فإن الريح مستعارة للدولة، يقال: هبت رياح فلان، إذا دانت له الدولة، ونفد أمره[٢] وتستعار الريح للقوة والغلبة، فإن السفن في الماضي كانت تجري بقوة الريح.

---

(١) سورة الأنفال، الآية:٤٦.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل،الإمام/ البيضاوي،جـ٣صـ٦٢، تحقيق/محمد المرعشلي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي،بيروت؛مدارك التنزيل وحقائق التأويل، الإمام/ النسفي،جـ١صـ٦٤٩، تحقيق/ يوسف بديوي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، دار الكلم الطيب، بيروت.

وقد يقود النزاع إلى العنف، وعلى إثره تحل الفوضى، ويعم الشغب، وتفقد الدولة توازنها، ويتزعزع أمنها، ويضرب الفساد أطنابه في جميع مرافقها.

وعليه فإن من الأهمية بمكان معرفة وفهم الأسباب التي تؤدي إلى حدوث نزاع، وعلاج دواعيه.

ومن الملاحظ أن الاختلاف بين أطراف النزاع في تقدير المصلحة، مدعاة لأحداث خلاف، فالمصالح المتعارضة، والمنافع المتضاربة بين الجماعات، هي عبارة عن دوافع ومحرضات للشقاق والخصام.

ومن هنا كانت المجتمعات في حاجة إلى دستور تقوم عليه حياتهم، لا يحابي أحدًا، ولا يحيف على أحد، نأمن معه من تصادم المصالح والمنافع.

ولا أنفع دواء من تعاليم الإسلام التي عالجت كل الاضطرابات التي قد تصيب المجتمعات من جراء معترك الأهواء، ومصطخب المنافسة، وحب الذات، وتفرق الأهواء، وتصادم الاتجاهات.

إن مراعاة المصالح العامة، أمر معتبر في الشريعة الإسلامية، وهي لا تختص بواحد بعينه، أو جماعة معينة، وإنما تعم المجتمع، وهي مقدمة على المصالح الخاصة.

يقول الإمام الشاطبي: المصالح المجتلبة شرعًا والمفاسد المستدفعة، إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية، أو درء مفاسدها العادية والدليل على ذلك أمور:

أحدها:أن الشريعة إنما جاءت لتخرج المكلفين عن دواعي أهوائهم حتى يكونوا عبادًا لله، وهذا المعنى إذا ثبت لا يجتمع مع فرض أن يكون وضع الشريعة على وفق أهواء النفوس، وطلب منافعها العاجلة كيف كانت، وقد قال

ربنا سبحانه وتعالى:﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾[١][٢].

فالمصلحة المشتركة، تحافظ على كيان المجتمعات وتماسكها كمجموعة وليست كأفراد، وهي منطلق أساسي، وقاعدة صلبة للتعايش، ومبدأ قررته معظم الشرائع، وأغلب الاتجاهات والفلسفات، يقول الإمام الغزالي:" جلب المنفعة ودفع المضرَّة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم"[٣].

ويقول الله تعالى:﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[٤] وهو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى، أي ليعن بعضكم بعضًا[٥] وذلك لتوطيد أركان المصلحة المشتركة بين الناس.

ومن أهم العوامل التي تخرج التدافع عن إطاره الإنساني: التعصب، والتعصب من العصبية، والعصبية: أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته، والتألب معهم، على من يناويهم، ظالمين كانوا أو مظلومين، وقد تعصبوا عليهم إذا تجمعوا، فإذا تجمعوا على فريق آخر، قيل: تعصبوا.

والعصبي هو: الذي يغضب لعصبته، ويحامي عنهم، والعَصَبةُ: الأقارب من جهة الأب، لأنهم يعصبونه، ويعتصب بهم أي يحيطون به، ويشتد بهم.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية:٧١.

(٢) الموافقات، الإمام/ الشاطبي، جـ٢صـ٦٣.

(٣) المستصفى،الإمام/الغزالي، صـ١٧٤، تحقيق: محمد عبد الشافي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

(٤) سورة المائدة، الآية:٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن الكريم، جـ٦صـ٤٦.

والعَصَبِيَّةُ والتَّعَصُّبُ: المحاماة والمدافعة، وتعصبنا له ومعه: نصرناه، وعَصَبةُ الرجل: قومه الذين يتعصبون له(١).

والتعصب اصطلاحًا: عدم قبول الحق عند ظهور الدليل من فرط التمادي في الميل والانحياز، وهو: ارتباط الشخص بفكر أو جماعة، والانغلاق على مبادئها، وقد يكون تعصُّبًا دينيًّا أو مذهبيًّا أو سياسيًّا أو طائفيًّا أو عنصريًّا، وهو سلوك خطير قد ينحدر نحو الأسوأ ثم يؤدِّي إلى التطرُّف والهلاك والخراب(٢).

وهو ظاهرة اجتماعية، ونفسية، تظهر بأشكال متنوعة، ولها نتائجها الخطرة على الفرد والجماعة، وآثارها السلبية المدمرة للإنسان والمجتمع.

ولقد أرسى الإسلام أحكامًا ومبادئ تعالج هذا الداء:

فمن ناحية علاج الإسلام للتعصب العرقي، فقد أرسى أحكامًا ومبادئ ترتب عليها آثار إيجابية، من تلك الأحكام، أنه قرر مبدأ المساواة، والإخاء، والحرية، والعدل، ورفض كل العصبيات الطبقية، والقومية، والعنصرية، والقبلية،ونبذ داء العلو والفوقية،وأعلن أن الرابط الحقيقي بين الشعوب والأمم هو" التقوى والعمل الصالح" وأن العلاقات الإنسانية تقوم على أساس الأصل البشري الواحد، قال الله تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٣) إن الله– سبحانه وتعالى– يدعو الإنسانية جميعهًا على اختلاف أجناسها وألوانها، ليردها إلى أصل واحد هو الذي تقوم به تلك الجماعة.

فيا أيها المختلفون أجناسًا وألوانًا، المتفرقون شعوبًا وقبائل، إنكم من أصل واحد، فلا تختلفوا ولا تتفرقوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا بددًا.

---

(١) لسان العرب، جـ١صـ٦٠٦.

(٢) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، جـ١صـ٢١٨.

(٣) سورة الحجرات، الآية:١٣.

إن الغاية من جعلكم شعوبًا وقبائل، إنها ليست التناحر والخصام، إنما هي التعارف والوئام، فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات.

ومما عالج الله به هذا الداء، أنه أمر بالاجتماع والتعاون على البر والتقوى، ونهى عن التفرق والاختلاف قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ (١).

وأساس التعصب للجنس، ما فعله إبليس اللعين مع أبينا آدم–عليه السلام– حين قال لربنا تبارك وتعالى: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾(٢) فأودت به هذه العصبية إلى الهلاك، فكان من الغاوين الصاغرين الملعونين.

وقد نهى النبي –ﷺ– عن هذه الآفة وحذر منها فقال ﷺ"لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ،وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ"(٣)والمعنى: ليس متأسيًا بسنتنا، ولا مقتديًا بنا، ولا متمثلًا لطريقتنا التي نحن عليها من: يدعو الناس إلى الاجتماع على عصبية لمعاونة ظالم، أو اشترك في قتال بدافع عصبية، أو مات على طريقتهم من حمية الجاهلية.

أما التعصب الديني والطائفي، فقد اقتضت حكمة الله – تعالى– أن يكون الناس على عقائد شتى، وملل مختلفة، وأن يكونوا أحرارًا في اختيار عقائدهم، أما سبل الهداية والقبول فيد الله، يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

(٣) سنن أبي داود، جـ٧صـ٤٣٩، تحقيق/ شعَيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره، الطبعة الأولى سنة١٤٣٠ هـ– ٢٠٠٩م، دار الرسالة العالمية، مصر.

كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [1] ويقول سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[2] وعن حرية الاعتقاد، ومنع الإكراه في الدين، فإن الله تعالى يقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[3] ويقول سبحانه: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾[4] .

وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على التسامح، ونبذ التعصب الديني والمذهبي، وإعلان الحرية الاعتقادية والفكرية، ومحاربة التطرف بكل أنواعه وكافة صوره.

(١) سورة يونس، الآية: ٩٩.
(٢) سورة يونس، الآية: ١٠٠.
(٣) سورة البقرة، الآية:٢٥٦.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

الخاتمة

نتائج البحث وفوائده

بعد عرض هذا الموضوع، ومعالجة قضاياه في ضوء وضوح الأفكار، وتسلسلها وترابطها، فإنه يمكن التوصل إلى النتائج العامة التالية:

١- إن مصطلح التدافع في الفكر الإسلامي، يتحمل عدة معان من ضمنها: التعاون والتعارف؛ نظمًا لأمر المعاش، وضمانًا لبناء حضارة إنسانية راقية، فكلمة " التعارف" لفظة قرآنية تروم التقريب وخلق مستويات عالية من التناغم والتفاهم والتعارف بين الأمم والشعوب المختلفة، فهي بديل عن منطق التناكر الحاصل بين هذه الأنساق الحضارية الموجودة في ساحة المدافعة.

٢- إن لفظة" التدافع" فيها دلالة على التنافس، وفيه إشارة- أيضًا- إلى نقل الآخر المتغاير من موقع العداوة إلى موقع الولي الحميم.

٣- التدافع عامل من عوامل استقرار الحضارة وازدهارها، ودافع قوي لتوجيه الجهد لصالح البشرية، وسعادة الإنسان، وذلك من خلال الحراك التي يحدثه، ومن خلال تدريب المجتمع لينظم ذاته من منطلق الرؤية التفاعلية.

أما الصراع والصدام فهو انحراف في السلوك الإنساني، ودافع إلى الشقاء والتخلف الحضاري، والإسلام لا يحمل في مبادئه وأهدافه هذه الأفكار.

٤- إن التدافع يبطل فكرة الصراع الغربية الذي روج لها كُتاب غربيون منهم على سبيل المثال:" صامويل هنتنغتون" في كتابه "صراع الحضارات" والمفكر الأمريكي الياباني الأصل" فرنسيس فوكاياما" في كتابه"نهاية التاريخ" وهذه النظريات تنكر المعرفة والإحاطة الإلهية بالعالم، وكأن هناك مصدر أخر للمعرفة والعلم، وتجهل ما يجمع الإنسانية من منطلقات في المبدأ والمآل.

ومع هذا فإن هذه الكتابات تعطي صورة واضحة لموقف الغرب من الإسلام، وهنا تظهر أهمية هذا البحث الذي يعمق مفهوم التدافع كمنهج إلهي

بديلًا عن فكرة الصراع، يدعو إلى التواصل والتلاقي، ويدعم مقومات الحضارة الإنسانية ويغنيها بما يقوي بنيانها، ويحفظ مسيرتها.

٥- الفرق بين الصراع والتدافع، هو أن الصراع ظاهرة سلبية، يجب تجنبها، والعمل على القضاء عليها حال وجودها؛ إذ إنه أسلوب تخريبي لا يؤيده عقل ولا منطق، وقد تتفاقم وتصل إلى مرحلة الأزمة، التي يتبناها أشخاص مدفوعين لأغراض وأهداف عدائية يصل بهم الأمر في بعض الأحيان إلى استخدام العنف والإرهاب، تحت وطأت أصحاب المصالح.

أما التدافع، فهو سنة من سنن الله في الاجتماع البشري؛ لتحقيق مصالح المجتمع الإنساني على أساس من العدل الذي به تزدهر الحضارات.

٦- إن تحقيق مفاهيم السلام وتطبيقها بين بني الإنسان، وعلى أرض الله المعمورة، من المقاصد العظيمة للإسلام، وهي أصل علاقة المسلم بغير المسلم، وهو مبدأ من المبادئ المشتركة بين الناس على مختلف عقائدهم، والتدافع هو أساس عملية تنسيق الجهود التي يبنى عليها مبدأ السلام، بمعالجة المشكلات القائمة، وأبرزها قضية التطرف والإرهاب.

٧- التدافع يقوي العلاقات الإنسانية، ويفرض احترام حقوق الإنسان، ويقضي على الازدواجية في التعامل.

٨- التدافع يعطي للعالم صورة حقيقية عن الإسلام والمسلمين، فهو ذلكم الدين المنفتح على الآخر، والذي له القدرة على الانصهار والتفاعل مع مختلف الحضارات، بما يتميز به من وسطية واعتدال.

٩- تتميز عملية التدافع بعدة مميزات:

أ- الكشف عن آمال الأمم وطموحاتها في الحياة. ب- المرونة ووضوح الرؤية والهدف وقت التدافع.

جـ- الوصول إلى الحل بسهولة ويسر. د- تهذيب النفس الإنسانية وتدريبها؛ لترتقي المعارف، وتزكو النفوس، وتنتظم مصالح الناس الدنيوية، ويتحقق الصلاح والإصلاح.

١٠- للتدافع وسائل وآليات بها تتحقق عملية التدافع في ظل التعددية الدينية والفكرية، فالجدل بالتي هي أحسن، والحوار البناء المثمر، والتدافع بالأدلة البرهانية، والحجج القطعية، من أجل المراتب، وأرفعها، وأقطعها للصراع، وأنفعها، وعليها المدار في التعايش والتعاون، وفي خلق جو من الثقة، يؤسس لأرضية مشتركة.

١١- إن التعايش السلمي منهج من أهم مناهج الإسلام، له عمق في حياتنا، وصورة حية في تاريخنا الإسلامي، وهو قيمة ضرورية في توضيح العلاقات المشتركة، ووسيلة فعَّالة للتواصل الجاد، وسمو بالخصومة في ظل التعددية عن أن تنزلق إلى مزالق الانفعالية.

النتيجة النهائية: إن تعاليم الإسلام عالجت كل الاضطرابات التي قد تصيب المجتمعات من جراء معترك الأهواء، ومصطخب المنافسة، وحب الذات، وتفرق الأهواء، وتصادم الاتجاهات.

فهرس المراجع والمصادر

-أ-

١) الإبانة في اللغة العربية، سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري، تحقيق الدكتور/عبد الكريم خليفة وآخرين، الطبعة الأولى سنة١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط - سلطنة عمان.

٢) الأحكام في أصول الأحكام،أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري(المتوفى سنة ٤٥٦هـ) تحقيق/ الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٣) إحياء علوم الدين، الإمام/أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي(المتوفى سنة ٥٠٥هـ) دار المعرفة، بيروت.

٤) الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين، الأستاذ/ عبدالعزيز التويجري، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، طبعة سنة ١٩٩٨م.

٥) الإكليل في استنباط التنزيل، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١هـ) تحقيق/ سيف الدين عبد القادر الكاتب، طبعة سنة ١٤٠١هـ -١٩٨١م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى سنة ٨٤٥هـ) تحقيق/ محمد عبد الحميد النميسي، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية - بيروت.

٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي/ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى سنة ٦٨٥هـ) تحقيق /محمد المرعشلي،الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ب-

٨) بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى سنة ٣٧٣هـ) تحقيق الشيخ/ علي محمد معوض وآخرين، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

- ت-

٩) تاريخ الرسل والملوك، الإمام/ أبى جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (المتوفى سنة٣١٠هـ) الطبعة الثانية سنة ١٣٨٧هـ، دار التراث، بيروت– لبنان.

١٠) تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى سنة ٣٣٣هـ) تحقيق الدكتور/ مجدي باسلوم، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.

١١) التحرير والتنوير،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(المتوفى سنة ١٣٩٣هـ) طبعة سنة ١٩٨٤هـ، الدار التونسية للنشر، تونس.

١٢) التعايش السلمي في عصور الدول الإسلامية، الدكتور/محمد عبدالعزيز الغرياني، بحث مقدم للندوة الدولية "التعايش السلمي في الإسلام" كولومبو، سريلانكا، سنة ١٤٢٧هـ.

١٣) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني(المتوفى سنة ٨١٦هـ) الطبعة الأولى سنة١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

١٤) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى سنة ١٣٥٤هـ)، طبعة سنة١٩٩٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٥) تفسير القرآن العظيم،الإمام/أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(المتوفى سنة ٧٧٤هـ) تحقيق/ محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى بعد سنة ١٣٩٠هـ) دار الفكر العربي ، القاهرة.

١٧) تفسير المراغي،أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى سنة ١٣٧١هـ)الطبعة الأولى سنة ١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م، طبعة الحلبي، مصر.

١٨) تهذيب اللغة،محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي،أبو منصور(المتوفى سنة ٣٧٠هـ) تحقيق/ محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٩) التوقيف على مهمات التعاريف،زين الدين محمد المعروف بعبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى سنة ١٠٣١هـ) الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، عالم الكتب، مصر.

٢٠) التيسير في أحاديث التفسير،محمد المكي الناصري(المتوفى سنة ١٤١٤هـ)الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان.

٢١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الإمام/عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى سنة١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، مؤسسة الرسالة.

-جـ-

٢٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم،أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى سنة ٦٧١هـ) تحقيق/أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،الطبعة الثانية سنة١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، دار الكتب المصرية، مصر.

٢٣) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ) الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، لبنان – بيروت.

٢٤) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى سنة٣٢١هـ) تحقيق/ رمزي منير بعلبكي، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت.

-حـ-

٢٥) الحوار الإسلامي المسيحي، بسام داود عجك، طبعة سنة ١٤١٨هـ، دار قتيبة.

٢٦) الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه، أحمد بن سيف الدين تركستاني، وزارة الأوقاف،المملكة العربية السعودية.

- د -

٢٧) درء تعارض العقل والنقل،شيخ الإسلام/تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى سنة ٧٢٨هـ) تحقيق الدكتور/محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية سنة١٤١١هـ -١٩٩١م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

٢٨) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق/ حمدو طمّاس،الطبعة الأولى سنة١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، دار المعرفة.

- ر -

٢٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،الإمام نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي(المتوفى سنة ١٣١٧هـ) تحقيق/علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ز -

٣٠) زاد المعاد في هدي خير العباد، الإمام/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى سنة ٧٥١هـ) الطبعة السابعة والعشرون سنة ١٤١٥هـ -١٩٩٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- س-

٣١) السنة، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى سنة ٢٨٧هـ) تحقيق الشيخ/محمد ناصر الدين الألباني،الطبعة الأولى سنة١٤٠٠هـ، المكتب الإسلامي- بيروت.

٣٢) سنة التدافع من منظور إسلامي، معاذ بيانوني ، مجلة الإسلام في آسيا، العدد الأول يونيو سنة٢٠١١م.

٣٣) سنن أبي داود، المحدث/أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى سنة ٢٧٥هـ) تحقيق/ شعَيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره، الطبعة الأولى سنة١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩م، دار الرسالة العالمية، مصر.

٣٤) السنن الاجتماعية ومنطق التدافع والتعارف الحضاري،الأستاذ/ بو عبيد صالح الأزهار، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، دار الكلمة- مصر.

٣٥) سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، محمد هيشور، إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الرسائل، الطبعة الأولى- ١٤١٧هـ/١٩٩٦م،الجامعية القاهرة.

٣٦) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى المعافرى(المتوفى سنة ٢١٣هـ) تحقيق/ طه عبد الرءوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحد.

٣٧) السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، الدكتور/أحمد أحمد غلوش، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، مؤسسة الرسالة.

- ش-

٣٨)شرح شافية ابن الحاجب، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأستراباذي،ركن الدين(المتوفى سنة ٧١٥هـ)، تحقيق الدكتور/ عبد المقصود محمد عبد المقصود، الطبعة الأولي سنة ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م، مكتبة الثقافة الدينية.

٣٩) شرح صحيح مسلم،الإمام/ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي(المتوفى سنة ٦٧٦هـ) طبعة سنة ١٩٩٥م، طبعة دار أبي حيان، مصر.

٤٠) شرح العقيدة الطحاوية، الإمام/ علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي(المتوفى سنة ٧٩٢هـ) تحقيق/ جماعة من العلماء، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار السلام، مصر.

٤١) شرح طيبة النشر في القراءات العشر،محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين النُّوَيْري(المتوفى سنة ٨٥٧هـ) تحقيق الدكتور/مجدي محمد سرور سعد باسلوم،الطبعة الأولى سنة١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م،دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٢) شريعة القرآن من دلائل إعجازه، الشيخ/محمد أبو زهرة، طبعة سنة١٣٨١هـ-١٩٦١م، دار العروبة- القاهرة.

٤٣) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم،نشوان بن سعيد الحميرى اليمني(المتوفى سنة ٥٧٣هـ) تحقيق الدكتور/حسين العمري وآخرين، الطبعة الأولى سنة١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م، دار الفكر، بيروت – لبنان.

-ص-

٤٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، العلامة/أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (المتوفى سنة ٣٩٣هـ) تحقيق/أحمد عبد الغفور عطار،الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان.

٤٥) صحيح البخاري، الإمام/ أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري(المتوفى سنة ٢٥٦هـ)الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة.

٤٦)صحيح مسلم، الإمام/أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى سنة٢٦١هـ) تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

-ط-

٤٧) الطرق الحكيمة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى سنة ٧٥١هـ) مكتبة دار البيان.

-ع-

٤٨) الاعتصام،الإمام/إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي(المتوفى سنة٧٩٠هـ) تحقيق/ سليم بن عيد الهلالي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية.

٤٩) العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى،محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء(المتوفى سنة ٤٥٨هـ) تحقيق الدكتور/أحمد بن علي بن سير المباركي، الطبعة الثانية سنة١٤١٠هـ -١٩٩٠م.

٥٠) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى سنة ٨٥٥هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥١) العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي، عبدالحميد أبو سليمان، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار السلام، مصر.

٥٢) عوامل الشهود الحضاري، عبد المجيد عمر النجار، الطبعة الثانية سنة ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان.

٥٣) العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى سنة ١٧٠هـ) تحقيق الدكتور/ مهدي المخزومي، والدكتور/ إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

-غ-

٥٤) الغريب في القرآن والحديث، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى ٤٠١ هـ) تحقيق/أحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية.

- ف-

٥٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري،الحافظ/أحمد بن على بن حجر العسقلانى الشافعي (المتوفى سنة ٨٥٢هـ) طبعة سنة ١٣٧٩هـ، دار المعرفة، بيروت.

٥٦)الفروق اللغوية،أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن يحيى بن مهران العسكري(المتوفى نحو٣٩٥هـ) تحقيق /محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، مصر.

٥٧)الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣هـ) تحقيق /عادل الغرازي، الطبعة الثانية سنة١٤٢١هـ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

- ك-

٥٨) الكافية في الجدل، عبد الملك بن عبد الله بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى سنة ٤٧٨هـ) تحقيق/ فوقية حسين محمود، طبعة سنة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، طبعة الحلبي.

٥٩) الكتاب المقدس للمدرسة والعائلة في العهدين القديم والجديد، بعناية الأب باسيليوس كناكري.

٦٠) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى سنة ٤٢٧هـ) تحقيق الإمام/ أبي محمد بن عاشور، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٦١) الكليات، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي،أبو البقاء الحنفي(المتوفى سنة ١٠٩٤هـ) تحقيق/ عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٦٢) كيف نصنع المستقبل، روجيه جارودي، ترجمة الدكتورة/ منى طلبة والدكتور/ أنور معين، الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار الشروف مصر.

- ل-

٦٣) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني(المتوفى سنة ٧٧٥هـ) تحقيق/الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٦٤)لسان العرب،العلامة/أبى الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(المتوفى سنة٧١١هـ)الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت – لبنان.

- م-

٦٥) مجلة البيان، العدد٢٣٨، المنتدى الإسلامي.

٦٦) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي (المتوفى سنة ١٤٢٤هـ) الطبعة السادسة سنة ١٤٠٧، دار النفائس– بيروت.

٦٧) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(المتوفى سنة٤٥٨هـ) تحقيق/عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى سنة١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٨) مختار الصحاح، الإمام/ محمد الرازي فخر الدين بن العلامة، ضياء الدين عمر، المشتهر بخطيب الري(المتوفى سنة ٦٠٦هـ) تحقيق/ يوسف الشيخ محمد، الطبعة الخامسة سنة١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، المكتبة العصرية، بيروت.
٦٩) مدارك التنزيل وحقائق التأويل،الإمام/أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى سنة ٧١٠هـ) تحقيق/يوسف بديوي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار الكلم الطيب، بيروت.
٧٠) المدخل لدراسة القرآن، الشيخ/ محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى سنة ١٤٠٣هـ)الطبعة الثانية سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، مكتبه السنة، مصر.
٧١) المستصفى، الإمام/أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى سنة ٥٠٥هـ) تحقيق/ محمد عبد الشافي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
٧٢) المسند،الإمام/أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني(المتوفى سنة ٢٤١هـ) تحقيق/شعيب الأرناؤوط،عادل مرشد وآخرون، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة.
٧٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس(المتوفى نحو ٧٧٠هـ) المكتبة العلمية – بيروت.
٧٤) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى سنة ٣٦٠هـ) طارق الحسيني، دار الحرمين، مصر.
٧٥) المعجم الفلسفي،الدكتور جميل صليبا،طبعة سنة١٤١٤هـ-١٩٩٤م،الشركة العالمية للكتاب، بيروت- لبنان.
٧٦) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم،عبد الرحمن بن أبي بكر،جلال الدين السيوطي(المتوفى سنة ٩١١هـ) تحقيق أ. د/ محمد إبراهيم

عبادة،الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤ م، مكتبة الآداب ، القاهرة - مصر.

٧٧) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

٧٨) مفاتيح الغيب الإمام/محمد الرازي فخر الدين بن العلامة، ضياء الدين، المشتهر بخطيب الري (المتوفى سنة، ٦٠٦هـ) الطبعة الثالثة سنة١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٧٩) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى بن خليل، عصام الدين طاش كبري زاده(المتوفي سنة ١٥٦١هـ)،الطبعة الأولى سنة١٤٠٥هـ-١٩٨٥م،دار الكتب العلمية،بيروت- لبنان.

٨٠) مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب(المتوفى سنة٦٢٦هـ) تحقيق/ إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي

٨١)المفردات في غريب القرآن،أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى سنة ٥٠٢هـ) تحقيق/
صفوان عدنان الداودي،الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ،دار القلم والدار الشامية،بيروت - لبنان.

٨٢) مناهج البحث العلمي، الدكتور/ عبد الرحمن بدوى، طبعة سنة ١٩٦٣م، دار النهضة العربية، مصر.

٨٣)مناهج البحث الفلسفي، الدكتور/ محمد أحمد مصطفى السرياقوس،طبعة سنة ١٩٩٥م، دار الثقافة للنشر، القاهرة.

٨٤) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن صابر الفاروقي الحنفي التهانوي(المتوفى بعد ١١٥٨هـ) تحقيق الدكتور/علي دحروج، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م، مكتبة لبنان، بيروت.

٨٥) موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر.

٨٦) الموافقات، الإمام/ إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى سنة٧٩٠هـ) تحقيق/ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، دار ابن عفان.

- ن -

٨٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير(المتوفى سنة ٦٠٦هـ) تحقيق/طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي،طبعة سنة ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، المكتبة العلمية – بيروت.

- و -

٨٨) الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، الأستاذ الدكتور/ محمد مصطفى الزحيلي، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م، دار الخير، دمشق – سوريا.